

روايات
المسرحيات
العالمية

تاسوس

تأليف : يوهان فولفجانج جوته

ترجمة وتقديم : د. عبد الغفار مكاوي

المسرح العالمي

(عدد مائة)

سلسلة سرقيات عالمية

تصدر بإشراف لجنة المسرح العالمي

أعضاء لجنة المسرح العالمي

أحمد عباس صالح

حمدى غيث

د. ريمون فرنسيس

عبد الحكيم سرور

المشرف المسئول

د. عبد الرحمن بدوي د. محمد اسماعيل الموائى

د. عبد الغنى الاهوانى

المشرف الفنى

د. عبد الغفار مكاوى

د. عطية محمد حسين هيكى حسن فؤاد

د. محمد اسماعيل الموائى

د. محمد سمير عبد الحميد

د. محمد غنى هلال

د. محمد محمود السلاومونى

الإدارة : ١٨ شارع حسين حجازى . ت : ٢٤٣٩٨ - القاهرة

المراسلات : باسم المشرف المسئول - بريد مجلس الأمة

روائع
المسرحيات
العالمية

أول فبراير
١٩٦٧

٤٠

نصف
شهرية

تاليس

تأليف: يوهان فولفجانج جوته

وتقديم: د. عبد القفار مسكاوي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

مشروع المكتبة العربية ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة

أقرتها
لجنة
روائع
المسرحيات
العالمية

تاسو

مؤلف : يوهان فولفجانج جوتة
ترجمة وتقديم : د. عبد الغفار مكاوي

Torquato Tasso

VON

JOHANN WOLFGANG GOETHE

übersetzt und eingeleitet

VON

A. MIKKAWY

لوحة بحياة جوته وعصره

١٧٤٨ (٨-٢٠) — المستشار القيصري يوهان كاسبار جوته يتزوج في سن الثامنة والثلاثين في مدينة فرانكفورت على نهر الماين من كاتارينا اليزابيث تكستور .

١٧٤٩ (٨-٢٨) — يوهان فولفجانج جوته يولد في فرانكفورت، أكبر المدن الألمانية بعد برلين وهامبورج ومن أهم مراكز التجارة فيها .

١٧٥٠ — ولادة شقيقته كورنيليا (ماتت في سنة ١٧٧٠) . وفاة الموسيقي العظيم «يوهان سباستيان باخ» (ولد في سنة ١٦٨٥) . الكاتب والفيلسوف الفرنسي الكبير «فولتير» (١٦٩٤-١٧٧٨) يزور برلين .

١٧٥١ — بدء ظهور الانسايكلوبيديا الفرنسية بإشراف «ديدرو» (١٧١٣-١٧٨٤) و«دلامبير» (١٧١٧-١٧٨٣) .

١٧٥٥ — ميلاد «فيليب زايدل» ، سكرتير جوته وصديقه الوفي

(١) سبق لهذه السلسلة أن قدمت في عددها الخامس والعشرين مسرحيتين قصيرتين من أعمال جوته في شبابه المبكر ، مع مقدمة قيمة عن حياته ومؤلفاته بقلم الدكتور مصطفى ماهر ، ولذلك فقد رأيت منعا للتكرار أن أكتفى بهذه اللوحة الموجزة .

(مات سنة ١٨٢٠) . وفاة الكاتب والفيلسوف الفرنسي

« مونتسكيو » (ولد ١٦٨٩) .

« مس سارا سامبسون » أول تراجيديا برجوازية

ألمانية « الليسنج » تمثل على المسرح لأول مرة .

— جوته يكتب أولى قصائده شبابه .

١٧٥٦

نشوب حرب السنوات السبع (التي استمرت حتى

سنة ١٧٦٣) بين « فريدريش الثاني » ملك بروسيا وبين

النمسا وفرنسا وروسيا والسويد والدولة الألمانية .

المعرض الصناعى الأول يقام فى لندن . إعدام فتاة

صغيرة فى لاندزهوت (بافاريا) لاتهامها بمراهنة

الشیطان ، وهى آخر ضحايا إحراق السحرة على يد

المسيحيين المتعصبين .

— ميلاد « كارل أوجست » أمير فيمار وصديق جوته وراعيه

١٧٥٧

(مات فى سنة ١٨٢٨) . بداية الاستعمار الإنجليزى للهند .

١٧٥٩ (١٠-١١) — ميلاد الشاعر الكبير « فريدريش شيلر » (فى مدينة مارباخ

بمقاطعة فيرتمبورج) صديق جوته الحميم وزميله

فى الكفاح لتأسيس الأدب الألمانى الجديد (مات سنة

١٨٠٥) .

وفاة الموسيقار الكبير « هاندل » . ظهور الرسائل الأدبية

« الليسنج » ، « كانديد أو التفاؤل لفولتير » .

— ظهور رواية (هيلوينز الجديدة) « لجان جاك روسو » .

١٧٦١

١٧٦٢ : ظهور ترجمة « فيلاند » (١٧٣٣ - ١٨١٣) النثرية

لمسرحيات شيكسبير ، التي يتم في سنة ١٧٦٦ .
ظهور « إميل » و « العقد الاجتماعي » لروسو .
تمثيل أوبرا « أورفيوس وأويريديكه » لخلوك (١٧١٤ -
١٧٨٧) لأول مرة .

١٧٦٣ - السيادة البريطانية على أمريكا الشمالية .

« جيمزوات » الإنجليزي مخترع الآلة البخارية ، كما مخترع
النساج الإنجليزي « جيمز هارجريفز » آلة الغزل اليدوية .
معرض الكتب الأول في « ليبزج » .

١٧٦٥ - ١٧٦٨ - جوته يدرس في جامعة « ليبزج » . صداقته « ليريش » وحب

« لكاتشن شون كويغ » ، ومشاهدته للعرض الأول
لمسرحية ليسنج « مينافون بارنهيلم » . يكتب مسرحيته
الرعوية الصغيرة نزوة العاشق .

١٧٦٥ - ظهور كتاب « ليسنج » الهام في تاريخ النقد الأدبي « لاثوكون

أو الحدود بين الرسم والشعر » .

وفاة « جوتشيد » ، وهو من أهم كتّاب عصر التنوير في
ألمانيا وأكبر النقاد الداعين إلى ربط الأدب الألماني
بالأدب الفرنسي والاقتداء به .

١٧٦٨ - مرض « جوته » وعودته إلى « فرانكفورت » .

قراءة مستفيضة للأديبين الألمان المعاصرين له « فيلاند »
« وكلوبشتوك » و « لشكسبير » وفيلسوف عصر النهضة وطبيبها
وعالمها المشهور « باراسيلزوس » . عالم الآثار ومؤرخ

الفن «فنكلمان»، أحد رواد الحركة الأدبية الكلاسيكية.
يموت مقتولا في تريستا . حزن جوته عليه .

ظهور كتاب الفيلسوف العالم المؤرخ «هيردر» - صديق
جوته وصاحب الأفضال عليه في شبابه - مذكرات
رحلتي في سنة ١٧٦٩ من ريجا إلى فانتس الذي يعلن

قيام الحركة الأدبية المعروفة بحركة العاصفة والاندفاع .

١٧٧٠ - ١٧٧١ - جوته يواصل دراسة القانون في «شتراسبورج» ويحصل

على «اليسانس». يتعرف على «هيردر» و«ولنس» (من
أهم أدباء حركة العاصفة والاندفاع) . يتأثر بمشاهدته
لكاتدرائية المدينة (المونستر) . حبه «لفردريكه بريون»
ابنة قسيس «زيرنهم» .

١٧٧٠ - «ليسنج» يذهب إلى مدينة «فولفنبوتل» حيث يعمل أميناً
لمكتبتها .

١٧٧١ - «جوته» يعود إلى «فرانكفورت» ويلقي خطبته المشهورة في

الاحتفال بذكرى «شيكسبير» التي يقول فيها إن الشاعر
الإنجليزي الأكبر هو الذي أيقظه من سباته وأنه بدأ
حياته الأدبية بعد قراءته له - يكتب مسرحيته جوتزفون
برلشنجن في صورتها الأولى .

ظهور مسرحية إميليا جالوتي «ليسنج» .

١٧٧٢ - يذهب في شهر مايو إلى «فتسلار» ليتدرب على أعمال

المحاماة ويقع في غرام «شارلوتة بوف» التي كانت مخطوبة
في ذلك الحين. يعود في شهر سبتمبر إلى «فرانكفورت»
ويسمع بخبر انتحار العاشق اليائس «جيروزاليم» الذي
سيفعه إلى كتابة «فرتر» .

تأليف اتحاد من المعجبين بالشاعر الكبير «كلويشتوك» من
طلبة جامعة «جوتنجن» وأدبائها ينادى بمحاربة الذوق
الفرنسي وتجديد الأدب الألماني.

١٧٧٣

— ظهور مسرحية «جوتزفون برلشنجن» التي تلفت
إليه الأنظار. ظهور مقاله عن «فن البناء الألماني»
وبداية العمل في الكتابة الأولى من فاوست وهي
المعروفة «بفاوست الأولى» أو «أصل فاوست».
«لنس» ينشر مسرحيته المعلم.

١٧٧٤

— يتعرف على فليسوف الأديان «لافاتر» (١٧٤١-١٨٠١)
الذي سيصبح من أعز أصدقائه، وعلى «كارل أوجوست»
الذي سيصبح أميراً «لفيمار» وراعياً وصديقاً «لخوته».
ظهور مسرحية «كلافيجو» ورواية «أحزان فرتر»
ونجاحهما نجاحاً هائلاً في داخل البلاد وخارجها.
«كلويشتوك» (١٧٢٤-١٨٠٣) يتم ملحمة الشعرية
الكبرى المسياس.

١٧٧٥

— حبه «ليلي شونمان» — رحلته الأولى إلى سويسرا. ينتهي
من مسرحية «ستلا». ويبدأ في «إجمونت».
«كارل أوجوست» يتولى إمارة فيمار:

بداية حرب الاستقلال الأمريكية التي ستستمر إلى
عام ١٧٨٣ — دوق مقاطعة «هسن» في ألمانيا يبيع للانجليز
١٢٨٠٠ من رعاياه للإشتراك في الحرب الدائرة في
شمال أمريكا.

١٧٧٥ (١٠-٣) - «جوته» يسافر إلى فيمار. صداقته «لكارل أوجوست».

توجيه الدعوة إلى «هيردر».

- حبه «لشارلوتة فون شتاين».

١٧٧٦

كتابة مسرحيته القصيرة «الأخوان» . وصول هيردر.

بداية الصناعة البخارية في إنجلترا .

الولايات الأمريكية الثلاثة عشر تعلن استقلالها عن إنجلترا .

«كلينجر» (١٧٥٢ - ١٨٣١) ينشر مسرحيته العاضفة

والاندفاع التي سميت الحركة الأدبية المعروفة باسمها .

: وفاة شقيقته «كورنيليا» . رحلته إلى منطقة جبال الهارس .

١٧٧٧

بداية العمل في روايته الكبرى «فيلهلم ميستر» .

- سفره إلى برلين . ظهور أشعار جوتفريد أوجوست

١٧٧٨

بورجر التي تلقى هجوما شديداً من شيلر . ظهور

مسرحية «ليسنج» «ناتان الحكيم» .

- يعين مستشاراً ، يبدأ في كتابة مسرحيته «إفجينيا»

١٧٧٩

ويقوم برحلته الثانية إلى سويسرا ، كما يبدأ في كتابة

مسرحيته «تاسو» .

- ينغمس في دراسة العلوم الطبيعية والتشريح والعظام .

١٧٨٠

وفاة «ليسنج» . ظهور كتاب «كانت» (١٧٢٤-١٨٠٤)

نقد العقل الخالص ، وترجمة «فوس» (١٧٥١-١٨٢٦)

للأوديسة .

- يرقى إلى طبقة النبلاء . وفاة أبيه . عرض مسرحية «شيلر»

١٧٨٢

الأولى «الصوص» على مسرح مدينة «مانهايم» وهروبه

إليها من «شتوتجارت» .

- ١٧٨٤ - يكتشف عظمة الفك في الإنسان .
- ١٧٨٥ - تركيب أول آلة بخارية في ألمانيا . زيارة جوته «لكارلزباد» وتوقيعه عقداً لنشر أعماله الكاملة .
- ١٧٨٦ - يقوم برحلته المشهورة إلى إيطاليا .
- ١٧٨٧ - ظهور إفيجينيا .
- ١٧٨٨ - العودة إلى فيمار . الانتهاء من مسرحية اجمونت . حبه «لكرستينه فولبيوش» ، وكانت عاملة بسيطة في أحد مصانع الزهور ، وحياته معها . آخر حوادث حرق الملحد في أسبانيا .
- ١٧٨٩ - ميلاد ابنه الوحيد «أوجوست» (مات في سنة ١٨٣٠) . كتابة قصائده «مراثي روما» والانهاء من مسرحية «تاسو» . التعرف على الفيلسوف والعالم اللغوي الإنساني الكبير «فلهلم فون همبولت» (١٧٦٧ - ١٨٣٥) . اندلاع الثورة الفرنسية (الهجوم على سجن الباستيل في ١٤ من يولييه) وإعلان حقوق الإنسان . إعلان دستور الولايات المتحدة وتعيين «جورج واشنطن» أول رئيس لها (١٧٣٢ - ١٧٩٩) . اختراع القسيس الإنجليزي «كارتريت» للمغزل الميكانيكي . أزمة الصناعة اليدوية .
- ١٧٩٠ - رحلة جوته الثانية إلى إيطاليا . دراسات في البصريات . ظهور الجزء الذي تم من فاوست . وفاة «آدم سميث» ، أكبر الاقتصاديين الكلاسيكيين في إنجلترا .

١٧٩١ - ١٨١٦ - «جوته» يشرف على مسرح بلاط فيمار، ويساهم في التمثيل وتدريب الممثلين واختيار النصوص . وفاة «كريستيان دانييل فريدريش شوبارت» أحد شعراء حركة العاصفة والاندفاع ومن أهم المكافحين في سبيل العدالة والديموقراطية. عرض أوبرا «الناي السحري» لموزارت (١٧٥٦ - ١٧٩١) لأول مرة على المسرح ، وقد أحبها جوته وأعجب بها كثيراً .

١٧٩٢ - ٩٣ - كتابة الملحمة الشعرية «رينيكة فوكس» على لسان الحيوان .

١٧٩٢ - إعلان الجمهورية في فرنسا وتشكيل الجمعية الوطنية . شيلر وكلويشتوك مواطنًا شرف للجمهورية الفرنسية . ١٧٩٣ - ميلاد «يوهان بيتر اكرمان» المشهور بأحاديثه الرائعة مع جوته . إعدام «لويس السادس عشر» في فرنسا، واستيلاء العاقبة على السلطة . ثورة عمال الغزل في إنجلترا .

١٧٩٤ - الحديث الأول بين جوته وشيلر وبداية الصداقة والمراسلات الهامة بينهما : نهاية دكتاتورية العاقبة في فرنسا وبداية الحركات المضادة للثورة .

١٧٩٥ - ١٧٩٧ - شيلر يصدر مجلة «الهورن» التي يشارك جوته بالتحرير فيها . ظهور رواية فيلهلم ميستر - سنوات التعلم . نشر «الأكزين» وهي مقطوعات شعرية تهكمية على رجال العصر بالاشتراك مع شيلر . ظهور كتاب كانت

- عن السلام الدائم ، ورسائل «شيلر» عن التربية الجمالية للإنسان .
- ١٧٩٧ — يكتب قصائده القصصية البلاذز ، ويصدر ملحمته الشعرية هرمان ودوروثيا . ويقوم برحلته الثالثة إلى سويسرا . ظهور رواية «هولدرلين» (١٧٧٠-١٨٤٣) هيرريون أو الناسك في بلاد الإغريق .
- ١٧٩٨ — ١٧٩٩ — بداية مراسلاته مع «تسلتر» . «نابليون» يقوم بانقلاب في فرنسا .
- ١٧٩٨ — ١٨٠٠ — انشغال «جوته» ببحوثه في نظرية الألوان ومشاركته في تحرير البروبيلان . عرض ثلاثية «شيلر» المسرحية الكبرى فالنشتين . «أوجست فيلهلم شليجل» ، (١٧٦٧-١٨٤٥) وشقيقه «فريدريش شليجل» (١٧٧٣-١٨٢٩) يصدران مجلة أثينايوم التي ستنطق بلسان الحركة الرومانتيكية المبكرة .
- ١٨٠٠ — «نوفاليس» (١٧٧٢-١٨٠١) ينشر فيها أناشيد إلى الليل ، بعد وفاة خطيبته . ظهور رواية جان بول (١٧٦٣-١٨٢٥) تيتان .
- ١٨٠٢ — ظهور مسرحية جوته الابنة الطبيعية .
- ١٨٠٤ — «نابليون» يتوج نفسه امبراطورا . وفاة «شيلر» في «فيمار» في اليوم التاسع من مايو . نابليون يهزم جيوش النمسا وروسيا في «أوسترلتر» ، و«نيلسون» يهزم الأسطول الفرنسي في «الطرف الأغر» .

— الانتهاء من القسم الأول من فاوست وظهورها في سنة

١٨٠٨ . القوات الفرنسية تحتل فيمار وتنهبها . جوته يتزوج رسميا من «كريستينه فولبيوس» في ١٩ من أكتوبر . بعد موقفها الشجاع في الدفاع عنه من اعتداء الفرنسيين . جوته يتابع دراسة نظريته في الألوان وينصرف إلى أبحاثه في الجيولوجيا والمورفولوجيا . «لودفيج أرني» (١٧٨١-١٨٣١) و«كليمنس برنتانو» (١٧٧٨-١٨٤٢) يصدران مجموعة من الأغاني الشعبية الألمانية بعنوان بوق الصبي المسحور ويهديان الجزء الأول منها إلى جوته . انهيار بروسيا بعد هزيمتها في معركة «بيننا» و«أورشيت» . الفرنسيون يحتلون «برلين» . نهاية «الدولة الرومانية المقدسة» للأمة الألمانية ، وخلع «فرانز الثاني» تاج الإمبراطورية . تكوين اتحاد الراين تحت وصاية «نابليون» لفرض حصار أوروبي على البضائع الإنجليزية . ١٨٠٧ - ١٨٠٨ - جوته يحب «ميناهيرسليب» . «هيجل» (١٧٥٥-١٨٣١) يصدر كتابه ظاهريات الروح .

— وفاة والده جوته . يقابل نابليون في الثاني من أكتوبر .

ظهور مسرحية باندورا . — مسرحية «كلايست»

(١٧٧٧-١٨١١) . البحر المهيمة تعرض على

مسرح فيمار تحت إشراف جوته . ثورة الشعب الأسباني

ضد نابليون . ظهور خطابات «فشته» (١٧٦٢-١٨٠٤)

إلى الأمة الألمانية .

- ١٨٠٩ — جوته ينتهى من روايته الأنساب المختارة .
- ١٨١٠ — صدور نظرية الألوان . تأسيس جامعة برلين .
- ١٨١١ — ١٨١٢ — ظهور الجزئين الأول والثانى من مذكرات حياة جوته من حياتى ، شعر وحقيقة .
- ١٨١٢ — فى «كارلزباد» و«تيلتس» . مقابلته «ليتهوفن» . حملة «نابليون» على روسيا وهزيمته . الأخوان «يعقوب» و«فيلهلم جريم» يصدران مجموعة حكايات الأطفال الشعبية التى قاما بجمعها من مختلف البلاد الألمانية .
- ١٨١٣ — الثورة الألمانية ضد «نابليون» . هزيمته فى «معركة الشعوب» قريبا من «ليبزج» ، وحل اتحاد الراين .
- ١٨١٤ — يواصل العمل فى الجزئين الثالث والرابع من ذكريات حياته ويكتب أولى قصائد الديوان الشرقى . بداية مؤتمر «فيينا» الذى يحتفل بالانتصار على نابليون ويعده انتصارا على الثورة الفرنسية . عودة أسرة «البوربون» (لويس الثامن عشر) إلى الحكم فى فرنسا ومحاكم التفتيش فى أسبانيا .
- ١٨١٤ — ١٨١٥ — رحلات على نهري الراين والماين . حب «ماريانه فيليمر» . الديوان الشرقى للمؤلف الغربى :
- ١٨١٥ — ظهور رواية «أيشندورف» (١٧٨٨ — ١٨٥٧) الإحساس والحاضر . عودة نابليون من منفاه فى جزيرة إلبا وهزيمته ونفيه إلى «سانت هيلينه» . تأسيس الاتحاد الألمانى من ٣٤ مملكة مستقلة وأربع مدن حرة

- حكام روسيا والنمسا وبروسيا يؤسسون « الحلف المقدس » والهدف منه الضغط على كل الثورات الشعبية .
- ١٨١٦ - وفاة زوجته « كريستينا » .
- ١٨١٧ - زواج ابنه « أوجست » : يعتزل الإشراف على المسرح .
- يترجم بعض أجزاء من مسرحية مانفريد لورد « برون » (١٧٨٨ - ١٨٢٤) .
- ١٨١٨ - منع تمثيل مسرحيته اجمونت في برلين .
- ١٨١٩ - ظهور الديوان الشرقي للمؤلف الغربي ، ثمرة عشرة طويلة مع شعر « حافظ الشيرازي » وعالم الشرق والإسلام .
- ١٨٢٠ - وفاة سكرتيره « فيليب زايدل » .
- ١٨٢١ - العمل في الجزئين الأول والثاني من رواية فيلهلم ميستر ، سنوات التجوال .
- ١٨٢٣ - رحلته إلى مارينباد وجبه « لأواريكه فون ليفيتسوف » .
- ١٨٢١ - وفاة نابليون في منفاه في « سانت هيلانه » .
- ١٨٢٣ - يكتب مرثاة مارينباد . السيمفونية التاسعة « لبيتهوفن » .
- ١٨٢٥ - العمل في القسم الثاني من فاوست . يتلقى من « فرانز شوبرت » (١٧٩٧-١٨٢٨) الألحان التي وضعها لبعض قصائده .
- ١٨٢٧ - بدء ظهور طبعة أعماله الكاملة في أربعين جزءاً . وفاة حبيبته القديمة « شارلوتة فون شتاين » . ظهور ديوان الشاعر « هيني » كتاب الأغاني .
- ١٨٢٨ - نشر رسائله مع « شيلر » . وفاة الأمير « كارل أوجست » .

- ١٨٢٩ : ظهور فيلهلم ميستر ، سنوات التجوال ، والجزء الثالث من رحلته الإيطالية. قراءته لمذكرات «سان سيمون» أحد الاشتراكيين الفرنسيين المثاليين .
- ١٨٣٠ — وفاة ابنته «أوجست» . الشاعر البولندي الكبير «مكيفيتش» (١٧٨٩ — ١٨٥٥) يزوره في فيمار .
- ١٨٣١ — يتم القسم الثاني من فاوست والجزء الرابع من شعر وحقيقة . «ستندال» ينشر روايته الأحمر والأسود .
- ١٨٣٢ — بداية مرضه الأخير ووفاته في صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس .

مُقَدِّمَةُ الْمُتَرْجِمِ

لم يكن جوته من الشعراء الذين تخطر لهم الفكرة فيسرعون كالمحمومين بتدوينها على الورق ثم لا يطبقون بعد ذلك أن يلقوا عليها نظرة واحدة ! لقد كانت تأتيه الفكرة فيبدأ في كتابتها ثم يدركه التعب أو يناله السأم أو تشغله مشاغل الحياة فيتركها ناقصة . وقد يعود إليها في خلال أيام أو أشهر أو سنين — ربما امتدت نصف قرن كما فعل في مسرحيته الكبرى فاوست ! — فيضيف إليها أو يعدل فيها أو يعيد صياغتها في وزن جديد أو يكتبها شعراً بعد أن بدأها نثراً . وقد يحس أن الفكرة لم تنضج النضج الكافي ، فينتقل إلى مشروع آخر كان قد بدأه ولم يتمه فيقطع فيه شوطاً ثم يتركه إلى غيره . وتواصل هذه الأفكار حياتها الخاصة في ضميره ، وكأنها تنتظر حتى تتم خلقها وتأتي اللحظة المناسبة التي تخرج فيها إلى النور . ولكن اللحظة يطول غيابها ، ويلح الأصدقاء والمحبون على الشاعر ليستأنف عمله من جديد . ولكن انشغاله بأعباء العمل أو السياسة ، وإقباله النهم على نعم الحياة الخصبية والحب المتجدد ، وانصرافه إلى مختلف الأبحاث العلمية في النبات والطب والألوان وطبيعة الأرض والبحر والصخور.... الخ يؤخر إنجاز الوعود ، ويزيد من التشتت والتردد . غير أن الإلهام السعيد لا ينجيب ظنه ، بل يقبل في مواعده المحتوم ويفرض قانونه الضروري ، وإذا بالشاعر ينجز عمله في ساعات أو أيام معدودة ، كما فعل في فرتر وفي معظم قصائده وقصصه الصغيرة ، أو في شهور قليلة لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، أو في سنوات تمتد امتداد العمر كله !

ومسرحية تاسو من هذا النوع من الأعمال الشعرية التي بدأها الشاعر ثم انتظر ما يزيد على ثمانى سنوات حتى تم لها النضج . فنحن نعثر على أول أثر لها في ملاحظة دونها في مذكراته اليومية في الثلاثين من مارس عام ١٧٨٠ حيث يقول : « إبتكار طيب : تاسو » . واكن يبدو أنه لم يبدأ في الكتابة إلا بعد هذا التاريخ بفترة طويلة . تشهد على ذلك ملاحظة أخرى سجلها في مذكراته اليومية في الرابع عشر من أكتوبر من نفس السنة حيث نجده يقول : بدأت الكتابة في تاسو . ثم تتابع رسائله في الشهرين التاليين إلى حبيبته المشهورة « فراوفون شتاين » فيحدثها عن مشروعه الجديد . ويواصل العمل في مسرحيته إلى أوائل عام ١٧٨١ ، تشهد على ذلك رسالة كتبها إليها من فيمار في العشرين من أبريل حيث يقول : « لأريد أن أقول لك شيئا عن نفسى ولا عن الغد . لقد تعبدت لك وأنا أكتب في تاسو . روحى كلها لديك . اليوم أريد أن أنشط للعمل . »

ويبدو أن جوته قد استطاع أن يقطع شوطا كبيرا في مسرحيته ، بحيث استطاع في اليوم العاشر من نوفمبر أن يقرأ المشهد الأول منها على صديقه « كنبيل » وأن يتم الفصل الأول كله ويشرع في الفصل الثانى . ولكن العمل توقف من جديد على أواخر ذلك العام ، بحيث نجده يتحدث في إحدى رسائله التي كتبها في ذلك الحين عن المسرحية الناقصة . ويبدو كذلك أنه عاد إليها في ربيع سنة ١٧٨١ ، وأنه قد بلغ فيها ما يشبه النهاية المؤقتة . مهما يكن من شىء فقد كتب جوته مسرحيته في هذه المرحلة بالنثر الشعرى أو بالشعر المثور كما نقول اليوم ، ثم عاد إلى التفكير في تعديلها وإعادة صياغتها شعراً في أثناء رحلته المشهورة إلى إيطاليا ، بين سنتى ١٧٨٦ و ١٧٨٨ حتى أتمها في صورتها النهائية المعروفة في سنة ١٧٨٩ . وإذا أردنا أن نتبع خطواته في هذه المرحلة وجدناه يكتب من روما إلى صديقه « كنبيل » رسالة بتاريخ

١٩ فبراير سنة ١٧٨٧ يقول فيها : « أنا الآن أعمل في تاسو التي ينبغي الانتهاء منها ». ويدون في مذكرات رحلته الإيطالية وهو في طريق البحر من نابولي إلى « باليرمو » هذه السطور في الثلاثين من مارس من نفس السنة : .. « لم آخذ معي من بين أوراق كلها سوى الفصلين الأول والثاني من تاسو اللذين كتبتهما منذ عشر سنوات ولم يزالا في خطتهما وسير أحداثهما شبيهين بما أفكر فيه اليوم — كان فيهما شيء من النعومة والضبابية لم يلبث أن اختفى عندما غيرت رأي فيهما فأحكمت بناء الشكل وأدخلت فيهما الوزن والإيقاع » .

وواصل جوته تفكيره في مسرحيته وراح يتعذب بينه وبين نفسه في إعادة صياغتها من جديد . فهو يقول في اليوم الأخير من شهر مارس في مذكرات رحلته : « بدأت أمواج البحر ترتفع ، ومرض أغلب المسافرين .. وبقيت في مكاني المؤلف ، أفكر في المسرحية كلها من أولها إلى آخرها » ثم يقول في اليوم التالي مباشرة : « تجرأت أحيانا على الصعود إلى ظهر السفينة ، ولكنني لم أدع مشروعى الشعري يغيب عن بالي ، حتى استطعت إلى حد كبير أن أتحكم في المسرحية كلها » . ويواصل كلامه في الثاني من إبريل ويقول « وجدنا أنفسنا في الثامنة صباحا أمام « باليرمو » . فقد كانت خطة هذه المسرحية قد ازدهرت في الأيام الأخيرة في بطن الحوت » .. ومع هذا كله يبدو أن الشاعر لم يكن قد غير تغييراً يذكر في النسخة الأولى التي كتبها نراً ولم يعثر عليها الباحثون حتى اليوم . وقد رجع في الفصلين اللذين أتمهما منها ، عاد فيما بعد إلى صياغتها شعراً إلى حياة الشاعر الإيطالي « توركوأتو تاسو (١) »

(١) توركوأتو تاسو (ولد في سورنت في سنة ١٥٤٤ ومات في روما في سنة ١٥٩٥) من أكبر الشعراء الإيطاليين ، ومؤلف الملحمة الوطنية الكلاسيكية في أواخر عصر النهضة . كان أبوه « برناردو » شاعر ملاحم وموظفاً في البلاط =

كما كتبها « جوفاني باتيستا مانسو » ، وملأها دون ترو أو تدقيق بالخرافات والأقاصيص عن حياة هذا الشاعر الكبير . ومع ذلك فقد استفاد شاعرنا كثير آمن القصة التي اخترعها (مانسو) من خياله وزعم فيها أن تاسو قد هام حبا بالأميرة ليونوره شقيقة ألفونس الثاني أمير « فرارا » الذي استضاف الشاعر ورعاه .

لم يشعر جوته بالحاجة إلى كتابة مسرحيته في ثوب شعري جديد إلا أثناء

درس القانون والفلسفة والبلاغة في « بادوا وبولونيا » ثم التحق في سنة ١٥٦٥ بخدمة الكاردينال « لويجي دسته » في مدينة « فرارا » ، واكتسب صداقة الأمير « ألفونس الثاني » وأصبح شاعر البلاط ، وعاش محاطا بالرعاية والتكريم حتى انتابته الشكوك الدينية والنفسية فأصيب بجنون الاضطهاد أو بجنون الكتابة وهرب سرا إلى شقيقته « كورنيليا » في مدينة « سورنت » . رجع مرتين إلى « فرارا » ، غير أن حالات الجنون عاودته فأدخل في مستشفى « سانتا انا » في سنة ١٥٧٩ ، وبعد أن غادر المستشفى في سنة ١٥٧٩ عاش بقية حياته شريدا هالما على وجهه . ألف عددا كبيرا من القصائد التي حاول فيها إحياء التراث الشعري الإيطالي الذي أسسه « بتراركا » ، وبعد أن ألف مأساة على غرار أوديب كان نصيبها الفشل ، وضع مسرحيته الرعوية أمينتا في سنة ١٥٧٣ التي تميزت ببساطتها وصدقها واختها الموسيقية وتعد في نوعها من أنجح الأعمال الشعرية في الأدب الإيطالي . أما عمله الرئيسي فهو ملحمة الوطنية القدس المحررة La Gerusalemme liberata (١٥٨١) وتصور تحرير جيش الصليبيين تحت قيادة « جوتفريد فون بويون » لمدينة القدس . والملحمة نسيج كبير من حكايات البطولة والحب والفداء ، ولكنها تدور أساسا حول هذه الحملة الصليبية . وقد تردد « تاسو » طويلا في نشر ملحمة وراح يأخذ آراء كبار الشعراء في عصره حتى وصل به الأمر إلى تقديم نفسه لمحكمة التفتيش لتختبر إيمانه وتجريل ملحمة . وقد ألف في أواخر حياته (١٥٩٣) ملحمة أخرى بعنوان القدس المفتوحة La Gerusalemme conquistata وهي ملحمة دينية خالصة ليس لها قيمة شعرية تذكر . وتعكس أشعار « تاسو » مشاكل عصره التي كانت سببا فيما أصابه من كآبة وتشكك انتهى به إلى الجنون والضياع نتيجة لانتشار الإصلاح الديني المضاد وغلبة التشكك في أمور الدنيا والآخرة .

رحلته في إيطاليا . لقد أحس بأن عليه أن يستبعد منها المايونة والغموض ،
فيحكم بناء شكلها ويصوغها في إيقاع شعري يليق بموضوعها الرقيق النبيل ،
ألا وهو الصراع الخالد بين الشاعر والواقع ، وبين عالم الفن وعالم السياسة .
ولقد زاد هذا الإحساس لديه حتى كاد يصبح أزمة حادة يعبر عنها قوله
في أثناء زيارته الثانية لمدينة روما في اليوم الأول من فبراير سنة ١٧٨٨ :
« .. ثم أعاني أزمة جديدة ، لا يستطيع أحد أن يشير على فيها أو يعينني
عليها . يجب أن تصاغ « تاسو » صياغة أخرى ، فما لدى منها الآن لا ينفع
في شيء ولا يمكنني أن أختمه أو أقذف به بعيداً . هكذا حكم الله على
الإنسان بكل هذا العناء ! » وتلح عليه الأزمة في أواخر مدة إقامته الثانية
في روما . فما هو ذا يقرأ من جديد عن حياة « تاسو » كما كتبها « أباني بيير
أنطونيو سيراсти » ، وكانت قد ظهرت في روما في سنة ١٧٨٥ . ويعكف على
دراسة هذا الكتاب ، ويأخذ منه أشياء جديدة عن الصراع الذي دار بين « تاسو »
وبين رجال البلاط والسياسة كما يتعرف على شخصية « أنطونيو مونتكاتينو »
الذي سيقوم بدور هام في المسرحية ، ويساعد مع صراع الحب اليائس على
بلوغ الأزمة في نفس « تاسو » إلى ذروتها ، حتى يصل الصدام بينه وبين عالم
السياسة والواقع الذي يمثله « أنطونيو » إلى قمته في جنونه الأخير .

ويبدو أن جوته قد ضاق بالمسرحية أو تهيب من إعادة صياغتها . غير أن
سحر شخصية « تاسو » كان أقوى من كل تردد ، وطبيعته كانت تنبع من أعماق
أعماقه ، بحيث نضج العمل كله على أواخر رحلته الإيطالية ، فأقبل في خريف
١٧٨٨ وربيع ١٧٨٩ بكلية على العمل حتى لنجده يكتب إلى صديقه وراعيه
الأمير « كارل أوجوست » في فبراير ١٧٨٩ فيقول : « إن تاسو ينمو كشجرة
البرتقال في بطن شديد . فلعله أن يؤتي ثماراً حلوة . » واستطاع الشاعر أن يتم

مسرحيته في شهر يونيو عام ١٧٨٩ ، وأن ينشرها في المجلد السادس من ط ١١، أعماله الكاملة .

★ ★ ★

ما من عمل مسرحي يخلو من الصراع أو يستطيع أن يستغنى عنه . ولقد تحدث جوته بنفسه عن الصراع في هذه المسرحية فوصفها في صورة عامة مجردة بأنها تعالج موضوع التنافر بين الموهبة وبين الحياة . كما وصف أحد النقاد تاسو بأنه « فرتر » متطرف أو مبالغ في لهيب حماسه وعواطفه .

والحق أن هذا هو الانطباع الأول الذي يشعر به القارئ من المسرحية ، دون حاجة منه إلى مزيد من التعمق والتحليل . ففي المسرحية عالمان يواجه كل منهما الآخر ويصطدم به ؛ هناك عالم المجتمع والسياسة ، يمثله الوزير « أنطونيو » والأمير « ألفونس » والدوقة « ليونورا سانفيتاله » . وهو عالم تغلب عليه روح الحكم والسيادة ويتميز بوضوح الرؤية العقلية ، وطموح الغريزة العملية . وهناك عالم الشعور والفن الذي يرفرف فيه « تاسو » كالطائر الوحيد فيخلق إلى أعلى القمم ويهبط إلى أسفل الأعماق ، ويهيب دائما بعظمة الماضي ويحيا على ذكرى الشعراء العظام . ثم يحاول أن يعيش في الحاضر أو ينسجم مع الواقع فيشعر بعجزه ، ويزداد إحساسا بانكساره . إنه عالم المطلق والجوهر والفن النقي الخالص الذي لا يمكن أن يقاس به العالم السابق أو يرتفع إلى مستواه . غير أن هذا التنافر بين العالمين لا يستطيع وحده أن يفي مسرحيتنا حقها أو يفسر مأساة بطلها . فوجه الخطورة فيه أنه قد يغرينا بالتفسير النفسي لشخصية البطل ، أو إرجاع موقفه التراجيدي إلى ما يوصف به من شذوذ أو تطرف أو جنون وهي أمور عرضية لا يمكن أن تنشأ عنها مأساة حقيقية . ذلك أن سر مأساة « تاسو » أنه يحس كما لا يحس أحد من المحيطين به بذلك الطموح

المطلق الذى يتزع إليه الفنان بطبيعته ، كما يشعر بالعجز الضرورى لهذا الطموح ، ويرفض فى الوقت نفسه أن يقتنع به أو يستسلم له . هذا الخلاف الأساسى بين عالم الخيال وعالم الواقع هو الإطار الذى تدور فيه أحداث المسرحية . وهو خلاف يبلغ من الشمول والعمق حدا تنصدع معه العلاقات الإنسانية بين الأفراد ، كما تنصدع وجود البطل نفسه من جذوره . ذلك لأنه — مثله فى ذلك مثل هاملت — يسمع صوتا لا يسمعه أحد سواه ، ويكلف برسالة لا يستطيع أن يحققها فى الواقع على الوجه الذى يرضيه ، ويحمل أمانة المطلق أو الحقيقة أو الفن ، بغير أن تكون لديه الوسائل الكفيلة بأدائها فى دنيا الأرض والواقع ، أو بغير أن يجد فى هذا الواقع أى استعداد لتلقيها . إنه يجد نفسه ملقى به فيما يمكن أن نسميه « منطقة القدر » يحيط به نظام من الأشخاص والعلاقات كرس كل جهده لتحقيق الأهداف والمنافع . وهو يشعر بعجزه عن تعديل هذا النظام أو الاندماج فيه . والمشهد الثالث من الفصل الأول أساسى فى فهم المغزى العام من المسرحية وإلقاء الضوء على موقفها من الزمن والتاريخ . فنحن نرى فى هذا المشهد كيف ينزل وجود الشاعر وتنزل كلماته عن عالم الواقع الذى يعيش فيه وكيف يفقد هذا العالم الأخير روحه ومعناه . ولذلك فإن « تاسو » لا يتعب من التعبير عن شوقه إلى الزمن الماضى لأنه يجد فيه — على خلاف الحاضر المحيط به — أن الحقيقة والواقع ، والشاعر والبطل ، والحكمة والفعل تنجذب إلى بعضها بقوة أشبه بقوة المغناطيس . والحديث عن اللقاء بين « تاسو » والأميرة لا يبعد بنا عن موضوع المسرحية كما حددناه فى السطور السابقة . فقد كان هذا اللقاء هو نواة المسرحية كما تصورها جوته فى البداية ، ولعله كان هو الباعث الذى دفعه إلى كتابتها بعد أن وجد فيه صدى لحياته وعذابه فى ذلك الحين . وأهم ما ينبغى إبرازه فى هذا اللقاء هو تلك العناصر التى تشهد على صلة القربنى التى تربطها بفلسفة

أفلاطون . وقد تنبه الباحثون إلى ذلك وأكثروا من الإشارة إليه . وليس من قبيل الصدفة أن نسمع الدوقة «ليونورا سنفيتاله» تصف الأميرة في نهاية المشهد الأول من الفصل الأول فتقول إنها تلميذة أفلاطون :

« أمثلك يا تلميذة أفلاطون لا تفهم ما تجرؤ مستجدة على الثروة به ؟ »
وذلك بعد أن وصفت شاعرنا قبل ذلك بسطور قليلة وصفا لا ينطبق إلا على أفلاطوني يتأمل المثل أو يتملى النموذج الأوحى الأسمى لكل ما في الواقع من صور الجمال :

إن روى الخصب بمجد صورة واحدة في كل أبياته وقصائده .
أحيانا يفتنه سناها المضيء فيرفعها إلى السماء المزدانة بالنجوم
ويسجد أمامها سجود العابد كما تفعل الملائكة فوق السحاب .

★ ★ ★

المهم على كل حال هو التفسير الميتافيزيقي للجمال والعشق (الإيروس) الذي يحس به كل من «تاسو» والأميرة . فتاسو يشعر من أول لقاء له مع الأميرة بأن جمالها يأسره . ولعله قد شعر قبل ذلك بأن هذا الجمال نموذج عال يفتقر إليه الواقع ، أو بأن وجودها قد تشكل بالحقيقة والجمال في صورة يعجز عنها الواقع . ولقد ظل يقنع نفسه بهذه الفكرة الأفلاطونية الخالصة حتى اعتقد أن المثل الأعلى للوجود قد تحقق في الأميرة ، بعد أن ضاع من العالم المحيط به ، وأصبحت في نظره خيالا من الماضي أو مثالا من المثل البعيدة عن عالم الواقع والتاريخ !

وليست الأميرة أقل منه إيمانا بهذه المثل العالية أو القيم الأخيرة ، ولا هي أقل منه شوقا إلى إثراء الحاضر البائس بالجمال المثالي . ولكن إذا كان هذا العشق المشترك هو الذي يربط بينهما برباط من التقدير والإعجاب فإن

هناك شيئاً آخر يفرق بينهما تفرقة شاسعة . فالأميرة تؤمن بأن مثال الجمال لا يتحقق في الواقع أو بأن لحظة تحققه لم تأت بعد . وهي تؤمن بذلك إيمانها بقدر قاس أو قانون صارم لا سبيل إلى الإفلات منه . وطاعتها لهذا القانون تكسب شخصيتها مسحة من الكبرياء الحزينة أو الحزن المتكبر ، وتطبع حياتها وسلوكها بطابع الزهد والصدود الذي عرفت به شخصيات نسائية أخرى في أعمال جوته ، من أهمها شخصية « أوتيليه » في روايته « الأنساب المختارة » .

وقد ساعدت على هذه المعرفة الأليمة بتعاسة الواقع وبؤسه تجارب شخصية عديدة مرت بحياة الأميرة . فلقد مرضت في شبابها مرضاً أشرف بها على الموت ، كما عانت أمها المسكينة من قدر قاس لا يزحم . وطبيعي أن أمثال هذه التجارب الشخصية لا تكن وحدها لطبع شخصيتها بطابع الاتزان والتعفف والزهد اليائس الذي تتميز به . بل إن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن هذا القدر الشخصي لم يكن إلا مقدمة لقدر أعم وأشمل ، وضعت فيه هي و«تاسو» ، وتعلمت منه أن الزمن ضنين والواقع فقير . وإذا كان «تاسو» لا يزال يحاول أن يطوع هذا الواقع لمثله وأحلامه ويفرض على ذلك الزمن قانوناً لم يأت أوانه ، فقد عرفت هي أن الواقع قد اغترب عن المثال ، والفعل قد انشق على المعنى ، فوفرت على نفسها آلام خيبة الأمل المتكررة التي يعانيها «تاسو» . وليس معنى هذا أنها استسلمت لمرارة الزمن فققدت الإيمان بكل قيمة أو معيار . بل معناه على العكس من ذلك أنها راحت توجه حياتها على هدى قيم موضوعية مترتبة لا مكان فيها للرغبة أو الطموح ، وأنها قد عرفت — والمعرفة مريرة — فأخذت نفسها بفضائل الصبر والاحتمال والحرمان . إن أكثر أحاديثها مع «تاسو» تشهد على ذلك ، فهي تحاول أن تهديه

إلى التعقل والاتزان ، وتحاول أن تريح الواقع البائس على حقيقته ، وهو لا ينفك سادرا في أحلامه ، تأثها في ضلال حبه . ومع أنها تشعر بغربتها عن العالم المحيط بها ، وتحس بوحدها في البلاط وعزلتها عن الدوقة «ليونورا» سافيتاله» أقرب الناس إليها ، فهي لا ترد مع ذلك في الإيمان بالقيم والتقاليد التي تتحكم في عالم البلاط الذي نشأت وتربت فيه . وإذا كان هذا الإيمان هو الذي يجمع بينها وبين شقيقها الأمير والوزير «أنطونيو» والدوقة «ليونورا» ، فهو كذلك ما يفرق بينها وبينهم . ذلك أنها تعتقد أن القيم والعادات السائدة في حياة القصر شحيحة في هذه الفترة المحدودة من الزمن ، وتعتقد في نفس الوقت أن هناك قبا أعلى منها لم يثن أو ان تحققها في عالم الواقع . ولعل هذه العقيدة هي التي تجمع بينها وبين «تاسو» وتجعلها تقف منه موقف الإعجاب الصامت ، والحب الزاهد الخنون . وإذا جاز لنا أن نتحدث عن خطأ «تاسو» أو خطيئته ، فإن في استطاعتنا أن نقول إنهما يكمنان في إساءة فهمه للحظة المناسبة ، ومحاولته اليائسة للتوفيق بين المثال والواقع والتوحيد بين الروح والفعل ، في زمن قدر عليه أن يشهد الفراق الحاسم بينهما . إنه يريد أن يثرى عالما يحكم عليه بالفقر ، ويحقق المطلق على أرض الواقع النسبي . ومن هنا فإن المسرحية تفرض ثلاث مراحل زمنية تتابع واحدة بعد الأخرى على نحو يشبه ما نجده في تصور أفلاطون :

فهناك زمن الوحدة المثالية أو الأسطورية بين عالم مثالي وآخر واقعي ، يتبعه زمن تمت فيه الفرقة بينهما فكان الانقسام إلى جسد وروح ، وفعل وفكر ، وقد يأتي بعدهما زمن ثالث يتحقق فيه الصلح من جديد ، وتتلاشى الثنائية الظالمة في نعم الوحدة والسعادة الخالدة .

وليس للإنسان يد في هذا اللحن الزمني المتتابع . وليس عليه كذلك

إلا أن يعترف به ويندمج فيه . أما أن يقف منه موقف الاعتراض والاحتجاج فلن ينتهى منه إلا إلى نهايته ، ولن ينتج عنه سوى الندم أو الحزن أو السقوط فى هاوية المأساة .

وقد أشار كثير من النقاد فى هذا الصدد إلى أوجه التشابه العديدة بين تاسو وبين مسرحية سوفوكليس أوديب ملكا (١) وراحوا يفتشون عن عناصر الاتفاق بينهما فى الموضوع والأسلوب والحوار . ولعل الدافع لهم على ذلك أن تاسو من الأعمال الفنية القليلة التى تبين لنا كيف يترك الزمن أثره على الإنسان فيحدده ويطبعه بطابعه ويصبح قدره ومصيره . ومن هنا كان للحياة الوجدانية والنفسية بما فيها من عذاب الفراق والتذكر والانتظار والأمل والحزن إلى الماضى أهمية كبيرة فى هذه المسرحية ، شأنها فى ذلك شأن مسرحيات جوته التى تهتم بعالم الباطن أكثر بكثير من اهتمامها بعالم الظاهر والأحداث الخارجية . ولعل هذا أيضا هو الذى جعل الشاعر يلجأ فى بناء مسرحيته إلى الشكل الإغريقى القديم ليصب فيه موضوعاً أو مشكلة حديثة ، يتركز الصراع الحقيقى فيها فى باطن الإنسان .

ومع أن مأساة أوديب فى صميمها مأساة ميتافيزيقية خالصة ، ومأساة تاسو مأساة تاريخية مرتبطة بزمن معين إلا أنهما متشابهان من حيث الشكل التحليلى الذى يتميز به بناؤهما الدرامى . فالأمر يدور فى تاسو وفى أوديب حول الكشف التدريجى عن مشكلة أو مظهر فاسد كامن فى طبيعة البطل نفسه ، تزيده حيرته وتخبطه تعقيدا على تعقيد . ومن ثم كان العذاب

(١) كارل رينهارت ، الأعمال والاشسكال ، جودسبرج ١٩٤٨ ، ص ٤٤٤

وما بعدها .

الوجداني في تاسو وفي أوديب أهم من الفعل ، والمعرفة المبررة التي تتكشف شيئاً فشيئاً أخطر بكثير من التطور التاريخي . ولذلك نجد البداية والنهاية في كليهما أشبه بصورتين متقابلتين . « أوديب » في بداية المأساة هو منقذ الجميع وفي نهايتها المنبوذ من الجميع ، و « تاسو » في بداية المسرحية هو الشاعر الذي يحتفل الجميع بتتويجه ولكنه في نهايتها المطرود الذي يحكم عليه بالدمار والانكسار . وإذا كان هناك فرق بينهما فإن أوديب قد حكم عليه قدر ظالم مجهول بالتردى في أخطاء لا ذنب له فيها ، بينما أخطأ « تاسو » بخياله الجامح وعاطفته المتهورة في حق الزمن ونظامه ، وحاول أن يفرض الحقيقة الشعرية على الواقع العملي الذي لم يتأهب لها . ولكن البطل هنا وهناك بدأ عظيماً في مجده وانتهى عظيماً في انهياره ، وذلك هو جوهر المأساة .

★ ★ ★

ماذا نقول عن هذه القصيدة الطويلة الحزينة التي نسميها تاسو ؟ أهى دراما أم مأساة ، أهى قديمة أم حديثة ؟ إننا نحار أمام هذا النسيج الرقيق الدقيق الذي لا يكاد يحدث فيه شيء ، ومع ذلك فكان الضرورة أهى التي نسجت خيوطه ، ونعيش في عالمه الأنيق الجميل ومع ذلك يترك في نفوسنا شيئاً يشبه الفرع الذي تتركه فينا المأسى الإغريقية حين تشعرنا بقسوة القدر الظالم المجهول . كيف يمكن أن تكشف هذه الحياة المنمقة الزاهية عن هوة من الحزن بلا قرار ، وكيف يؤدي كل ما فيها من جمال ونظام وسمو في الأخلاق والتقاليد إلى تحطيم نفس رقيقة بحساسة ؟ أيمكن أن تمرض هذه النفس وتأس في عالم يحبها ويرعاها ويدلها ويكاد يؤلفها ؟ أم أن هذه الحياة المهدبة الراقية ليست إلا واجهة مصطنعة تخفي العداوة الحقيقية

للشاعر الأصيل ، وتكره عالمه المترفع عن عالمها الغارق في التكلف والتظاهر والمنافع والأغراض ؟ ثم من المذنب في مأساة شاعرنا ؟ أهم سكان البلاط الذين لا ندري إن كانوا أصدقاءه أو أعداءه ولا نعرف إن كانوا يضمرون له الشر أو الخير ؟ ! أهم جماعة يتعاون كل فرد فيها على إنماء موهبته أم يتآمر على عبقريته فيستغلها لمصلحته ، ويبطش بها إذا وجد أنها لم تعد تحقق أهدافه ؟ أم يكون الشاعر نفسه هو المذنب لأنه تجاوز الحد الذي كان عليه أن يلتزم به ، وراح يغوص في وهم خداع جعله يقضي على سعادته ويلقي بالمسئولية على المحيطين به ؟ ألا نحطم بذلك صورة الشاعر الذي يحمل رسالة فريدة ويعيش - وهذا حقه - في عالم لا يصح أن نتدخل فيه أو نحاول تشكيكه على هوانا ؟ ألا نسيء إلى الشعر نفسه حين نصور «تاسو» رجلاً مريضاً يسوقه الفشل النفسي خطوة فخطوة إلى الدمار ؟ إن الأمر في تاسو كما قلنا يتعلق بالكشف لا بالتطور ، وبالمعرفة لا بالحديث ، وبالعذاب لا بالفعل . ولكن ما الذي يتكشف هنا ويعرف ويعاني ؟ لو دققنا النظر في النص الشعري الذي بين أيدينا لتبين لنا أن الأمر فيه ليس أمر صراع درامي عادي بين نفس عاطفية حساسة وبين عالم الدسائس والمؤامرات المحيط بها ، بل إن موضوع المسرحية هو العذاب الذي يكابده الشاعر ، والحديث الذي يدور بينه وبين نفسه المنطوية ، والتناقض الخفي الذي كان يخفيه في صدره فساعد الوسط المحيط به ، بإرادته أو بغير إرادته ، على كشف الغطاء عنه . وبذلك تكون تاسو مأساة حديث ذاتي (مونولوج) ، أو لحن فاجع وحيد لا تقوم فيه بقية الشخصيات إلا بدور الأصوات المصاحبة التي تغطي عليه أحياناً وتبرزه أحياناً أخرى .

إنها لا تمثل شخصيات تصطدم بالبطل أو تقف معه ، كما هو الحال

في الفعل الدرامي المعتاد ، وإنما هي أشكال وصور تنعكس عليها نفسه وتشدها إلى وجدانها الوحيد وتفسرها تفسيراً شعرياً خاصاً بها . ولا يمنع هذا من أن تحتفظ بشخصيتها المستقلة ، وكيانها الواقعي الذي يعجز الشاعر عن فهمه ، ويرى نفسه مستبعداً منه . وليس من المهم أن تكون هذه الشخصيات معه أو عليه — فالواقع أنها جميعاً تشجعه وتسترضيه وتخطب وده — بل المهم أن لكل منها وجوده الواقعي الذي يختلف عن وجوده الشعري الخالم ، وأن هذه الحقيقة وحدها هي التي تدمر حياته وتكشف له عن مأساة موقفه ، وذلك بمجرد أن يتضح له أن الموهبة لا بد أن تصطدم مع الحياة . وهكذا لا تقول المسرحية كلها أكثر من أن الوجود الشعري وجود مأساوي . لا يقتصر ذلك على مدينة «فرارا» وحدها ، بل كذلك كان الأمر وكذلك سيكون في كل مكان وزمان . ويزيد من قسوة هذا الإحساس أو من مرارة هذه المعرفة أن شاعرنا يعيش في وسط مدني مهذب راق — ولقد أوهم نفسه بأنه واجد في هذا الوسط الخالم الأنيق (على الأقل من الظاهر) ما يستجيب لصوته الشعري الباطن . ولكن المأساة كلها لم تصبح مأساة إلا لأنها تكشف النقاب شيئاً فشيئاً عن هذا الوهم ، وتبين أن الدوق والتمدن لا يكفيان لإنقاذ الشاعر الذي كتب عليه أن يموت وهو استثناء عظيم . تلك هي المعرفة التراجيدية التي يتعلمها «تاسو» ونتعلمها منه . وذلك هو سبب هذا الحزن الهاديء الفاجع الذي تملأنا به هذه المسرحية ، على الرغم من أننا نعلم أن الشخصيات كلها — بما في ذلك الوزير «أنطونيو» إذا أحسننا فهمه — تنضاقر على حمايته وتنافس في رعايته ومكافأته والعطف عليه . ولكنها لا تعلم أنها بذلك تزيد حياته تهديداً ، وأنها بوجودها الواقعي وعالمها غير الشعري تزيد إحساساً بوحده في عالمه الخيالي المثالي غير المحدود .

ما قيمة الشاعر بالنسبة لذلك العالم وما دوره فيه ؟ إن المشهد الأول من المسرحية يرمز للإجابة على هذا السؤال . فتاسو يظهر حاملاً في يده ملحمة الشعرية التي فرغ من كتابتها ، وإن لم يفرغ بعد من التشكك فيها والتفكير في إكمالها ! وتتقدم الأميرة لتضع على رأسه إكليلاً من الغار كان المفروض أن يزين تمثال الشاعر الروماني الأكبر فرجيل . فإذا تأملنا هذا المشهد من ناحية البلاط وجدناه مظهرة للتفاخر والإعلان ، ومرآة تعكس زينته وأهنته . إن الأمير « ألفونس » محتاج إلى موهبة الشاعر لأنه سيظل بدونها في صف البرابرة المتوحشين ، ولأنها تريد أمجاده الواقعية أمجاداً أخرى في عالم الشعر والخيال . إنه يستطيع الآن أن يقول للناس : أنظروا ! إن عندي إلى جانب القصور والجيوش والآثار القديمة والخدم والحشم شعراء وكتاباً وفنانين ! والدوقة « ليونورا سانفيتاله » محتاجة إليه لأنها تريد أن ترى نفسها منعكسة على مرآة روحه الجميلة ولأنها - وهي الأنانية المغرورة بفتنة الأنوثة - تستطيع أن تضيفه إلى الزوج والأطفال وتجرجره خلفها كأنه ذيل رداؤها الأنيق ... إنها سيدة المجتمع الرائعة التي يهملها أن تضيف إلى ثروتها شاعراً موهوباً مسكيناً ! وإذا كانت تلجأ إلى المؤامرة التي لا ضرر منها ، فلأنها تريد أن تستأثر به لنفسها ، وتظهر مهارتها في إتقان ألعاب القصور . أما الأميرة فهي في حاجة إليه لأن حياتها التي عانت من المرض والعذاب محتاجة لمن يرد إليها الحياة ولأنها - وهي تلميذة أفلاطون - تعلم أن الشاعر وحده هو الذي يستطيع أن يسمو بها إلى عالم التجانس والصفاء والنقاء . فالشعر بالنسبة إليها هو الوسيلة الوحيدة التي بقيت أمامها لاحتلال الحياة المسرفة في المادية والغلظة والجهامة . إن الأميرة لا تتظاهر كغيرها ، وهي أبسط نفساً وأرق حساً من أن تهين الشاعر بالعطف عليه . ذلك لأن أهم ما يميزها هو البساطة والسمو والكبرياء ، حتى لتكاد كل كلمة تقولها وكل إشارة تصدر عنها

أن تنطق بالترفع والابتعاد . إنها أفلاطونية تفكر تفكير الفيلسوف العظيم
وتشتاق إلى الجوهر الباقي وراء المحسوس المتغير ، وموقفها من كل ما هو
مادى موقف الترفع والتعفف ، وحديثها إلى «تاسو» حديث روح إلى روح ،
لا حديث امرأة إلى رجل . فإذا ظن الشاعر في عنفوان عاطفته الملتهبة أنها
تبادله حبا بحب ، أسرع تزرجه عنها في رفق تارة وفي عنف تارة أخرى .
ذلك لأنه لم يكن بالنسبة إليها ولن يكون أكثر من واسطة إلى «العهد
الذهبي» الذي مضى ولن يعيده إلا الأخيار والطيبون . صحيح أنه «وسيلة»
إلى هدفها ، ولكن ما أعظم الفرق بين هذا الهدف وبين أغراض المحيطين بها
في البلاط .. !

إذا كان هذا هو موقف الجميع من مشهد التتويج فما أشد ما يختلف
موقف «تاسو» منه ! فليس الخيال والشعر بالنسبة إليه تجميلا للحياة أو زخرفة
لها ، بل إن الحياة عنده هي الخيال ، والشعر هو الوجود . ولذلك فإن
التتويج يفقد عنده قيمته المؤقتة المحدودة ، وينقله إلى عالم غير واقعي ،
إلى وطن النشوة الخلاقة والتجربة الشعرية الذي يوجد في كل مكان ولا
يوجد في أى مكان . ولذلك فهو يدهش الجميع بتردده عن قبول الإكليل ،
ويغضبهم برعبه المفاجيء الذى يجعله يقول :

دعوني أتردد ، فلست أدرى

كيف يمكننى أن أعيش بعد هذه اللحظة

وتنقلب لحظة التكريم إلى شقاء لا حد له . فهو يحس كأن الإكليل يحرق
شعره ، ولهب الحمى يعصف بدمه . ويشعر أن التاج الذى لم يكده يستقر
على جبهته قد انتقل به إلى جنة الخالدين ، وطار به إلى مملكة قديمة مسحورة
يتحد فيها البطل والشاعر ، وتتعانق القروسية والفن . ولكنه يشعر كذلك

شعوراً خفياً بأنه قد صار غريباً عن كل الوجوه التي تنظر فيه أو تبسم له ،
وبأن « فرارا » ليست هي وطنه الذي كان يحلم به ، بل إنه ككل الشعراء لا
وطن له ، حكم عليه بمحض وجوده كشاعر أن يعيش مهدداً ، ضائعاً ،
يتحدث فلا يفهم ، ويقول فلا يسمع .

ويتضح الدور الذي يمكن أن يقوم به الفن عامة والشعر بوجه خاص في
مثل هذا المجتمع عندما يظهر الوزير « أنطونيو » في المشهد الرابع الذي يلي
المشهد السابق .

فالأضواء تسلط على الجانب السياسي والعمل في حياة البلاط ، بحيث
لا يعود هناك مجال للشك في أن العلم والفن والشعر لا وزن لها إلا إذا كانت
وسيلة لخدمة السياسة وزينة على صدور الحكام . وإذا كان « أنطونيو » — وهو
الوزير الناجح الذي ابتعد عن البلاط فترة من الزمن في مهمة ناجحة —
يعبر عن غضبه وسخطه المكتوم على « تاسو » ، فليس ذلك لأنه يشعر بأنه
غريمه الذي أوْشك أن يحتل مكانه في البلاط أو في قلوب النساء ، بل لأنه
يشعر كذلك بفطرته أن عالم « تاسو » غير الواقعي يهدد عالمه الواقعي ، وأن الخيال
والشعر خطر عليه أي خطر . إنه يدافع بغريزته عن حياته ، ويريد أن يحمي
نفسه من عالم الشعراء والموهوبين الذي يحس أنه غريب فيه . وليس في
الأمر شيء من سوء النية أو الحقد أو الاعتداء ، بل إنه تصرف طبيعي تمليه
ضرورة عمله وحياته . ولذلك فلا يصح أن نستكثر عليه موقفه النبيل في
آخر المسرحية حين يرى « تاسو » مشرفاً على الهاوية فيمد له يداً مخلصه عاطفة .

أما « تاسو » فهو يتصرف كذلك بما يتفق مع طبيعته فينظر إلى عالم السياسة
المحيط به بمنظار الحلم والخيال .

إنه يحاول تحت إلحاح الأميرة أن يلتقي «أنطونيو» ، ويمد يده إليه في حماس لإيمانه بأن البطل والشاعر يمكن أن يلتقيا ويتحدا ، وهو شيء لا يمكن أن يحدث إلا في العالم الذهبي المسحور الذي يحيا فيه . ويفزعه تردد أنطونيو وتحفظه . ويسرع إلى التشكك والتوهم . وتزداد شكوكه وأوهامه يوماً بعد يوم حتى تنتهي به إلى الكارثة المحتومة .

ولو أنه قنع بعالمه أو سلم باختلافه عن العوالم الأخرى ، لما فقد ثقته في نفسه ولا كانت هناك ضرورة إلى حزنه بالحارف المؤثر الذي لا عزاء فيه .

فما أقسى أن يرى نفسه ملكاً في مملكة الخيال ، ورفيقاً للأبطال والشعراء الخالدين ، ثم يرى نفسه مع ذلك يسير في دنيا الواقع والمنافع كالشحاذ البتيم !

ولو استطاع هذا الخيالي المسكين أن يقفز القفزة المناسبة من عالمه المسحور إلى عالم الواقع لانتشل نفسه من مهاوى العدم وحقق السعادة في الدارين ! ولكن هل كان يستحق منا عندئذ أن نسميه شاعراً ، أم كان يصبح انتهازياً ممن تمتلئ بهم حياتنا الفنية اليوم ؟

إن الخلاف بين «تاسو» و «أنطونيو» خلاف أسامي بين الشاعر ورجل الحكم ، تصطدم فيه العاطفة الجارفة بالعقل الناقد المترن . ويصل الشقاق بينهما إلى حد تبادل الألفاظ الجارحة ، فيجرد «تاسو» سيفه ويطلب «أنطونيو» بالتزال . ويتدخل الأمير بينهما ، ويعاقب «تاسو» بالحبس الانفرادي في غرفته .

هنسا نستطيع أن نقول إن شيئاً قد حدث ، وهو أمر نادر في هذه المسرحية ! فهذا الحادث الضئيل كان وحده كافياً للإلقاء «بتاسو» في هاوية

الحزن والوحدة التي لا تخرج منها . إنه لم يرتكب خطأ في حق النظام الأخلاقي ، بل اصطدم بالقواعد الشكلية . « والشكل » في مثل هذه المجتمعات هو كل شيء . ولذلك فالأمير لا يحاول أن يعرف الخطيء من المصيب . وإذا عاقب فعقابه شكلي . لقد عفا بالفعل عن المذنب ، وترك له أن يحرس نفسه بنفسه ، أعني أن يهرب من هذا السجن الشكلي إذا شاء . وقد كان من الممكن أن تمر العاصفة لو أن « تاسو » خضع لإرادة هذا النظام الشكلي . ولكنه لا يقدر على ذلك ولا يمكن أن يقدر عليه . ذلك لأن وجوده كله كشاعر إنما هو تمرد على الشكل . فالشكل قالب مصطنع تفرضه على الحياة ، والشاعر يعيش على الخيال الذي يفجر القوالب ويكسر الحواجز والحدود . ولو اعترف بها لأنكر نفسه . فهو المسوس الذي تسيطر عليه قوى أقوى منه . ولذلك فليس في قدرته أن يسلم بالحدود التي تفصل بين إرادة الذات وبين الالتزامات الواجبة نحو المجتمع .

لقد عميت عينه عن رؤية الواقع ، لأن كل ما تسميه بالواقع قد تحول عنده إلى خيال . إنه كالمثل على المسرح ، يسمع الكلمة التي يبدأ عندها في إلقاء دوره ولكنه لا يكاد يسمع ما يقوله سواه . ولذلك يصعب عليه أن يخرج من نفسه ، أو يعرف الموقف المحيط به على حقيقته . ولو قارنا بينه وبين « أنطونيو » لوجدنا الأخير على حق دائماً ، فهو يملك كل ما يفتقر إليه « تاسو » من إحساس صائب بالواقع ، وفهم لما يليق في المجتمع وما لا يليق . غير أنه يفتقر إلى مملكة الشعر التي أغلقت بابها في وجهه كما تعوزه القدرة على الإبداع والحماس والانطلاق . ومع ذلك فعلينا أن ننصفه فنقول إنه يترك ما سميناه من قبل بتنافر الموهبة مع الحياة ، ويحاول أن يكفكف من غلواء « تاسو » ويقاوم تطرفه ويغيده من جديد إلى أرض الواقع والمجتمع .

غير أن محاولاته النبيلة تبوء بالفشل ، لأنها موجهة إلى تاسو «الإنسان» لا إلى تاسو «الشاعر» ولأنها تطبق معيارا يصلح للقاعدة لا للاستثناء ، وللכל لا للفرد . ولو استمع «تاسو» إلى نصحه لما كان هو «تاسو» ولا كان من حقنا أن نتحدث عن مأساته . فإذا كانت قوة «أنطونيو» في خضوعه للنظام والتزامه بالأصول والحدود، فإن قوة «تاسو» وضعفه في آن واحد في تمرده على كل المقاييس والأشكال ، وخضوعه لضرورة الخلق والابداع .

وإذن فقد ظل صادقا مع طبيعته كشاعر وإنسان فريد ، ولو أحنى رأسه لأصبح واحدا من مئات الشعراء الذين ازدحم بهم الأدب العالمي (والأدب العربي بوجه خاص) وعاشوا وماتوا كالشحاذين على صدقات الأمراء والسلاطين ... ا

إن من أعز أشواق الإنسانية أن يحيا الشاعر والفنان مع المجتمع في وئام . ولكن لا ينبغي أن ننسى أن الشاعر والفنان لا يستطيع إلا أن يكون شاعرا وفنانا ، أعنى أن يعيش في صراع دائم مع القيود والحدود ، ويحيا في عالم خاص به يبعده بوجه من الوجوه عن المجتمع ويبعد المجتمع عنه .

فكل من جعل من الاليزيوم (جنة الخالدين) وطنه ومسكنه ، لا بد له أن يحيا غريبا على الأرض مثل «تاسو» . ومع أن بلاط «فرارا» قد قدم لشاعرنا أقصى ما يقدم من واجبات الضيافة والرعاية فقد أوضح مع ذلك بصورة مفزة أن التفاهم بين الشاعر والمجتمع يقوم دائما على سوء تفاهم ضخم . لذلك تحسن المجتمعات صنعا إذا تركت للشعراء حرية الرقص والاحتجاج وكفلت لهم حق التفرغ والاعتزال . ذلك لأنهم لا يحتجون عليها إلا حبا فيها ، ولا ينزلون عنها إلا ليزدادوا قربا منها ومعرفة بها . كان هذا هو حق القواد والرواد دائما ، ومن أحق بالقيادة والريادة من الفنانين والشعراء ؟

لابد أن يكون لدى الشاعر أو الفنان ما يقوله . ولعل «جوته» . لم يرد
بمسرحيته تاسو أكثر من أن يقول إن وجود الشاعر عذاب . لقد صور
فيها حالة نفس مريضة . ولكنه لم يقصد تصوير المرض النفسى لذاته ،
بل ليوضح من خلاله طبيعة الإحساس الشعري بالحياة ، وهو إحساس يستمد
قوته من ضعفه وتعرضه الدائم للخطر والدمار . فالشعر هنا والفن عموما
ليس هو الحالة السوية ، بل هو شئ غريب ، مضيق ومريض . ولا شك
أن هذه نظرة رومانتيكية أو عاطفية . ولا شك أيضا أنها أثرت في تصور
الرومانتيكية للشاعر والفنان كما عبرت في السنوات الأخيرة عن نفسها أوضح
تعبير في أعمال كاتب كبير مثل «توماس مان» . وطبيعى أن يكون «جوته»
قد صور في مسرحيته جانبا من حياته وآلامه الشخصية ، وإن لم يمنع هذا
من أن تنفرد الصورة بحقيقتها المستقلة . لقد سبق أن فعل ذلك في رواية
شبابه فرتر ، فكانت تسجيلا لعذابه وخلاصا من هذا العذاب في وقت واحد .
وهو قد فعل نفس الشئ في تاسو ، فتجاوز همومه إلى هموم الشعراء
بوجه عام ، وبين أن الشاعرية في صميمها نوع من العذاب الذى يكابده
الشاعر في العالم وفي ذاته ، ينشأ عن إفراط في الخيال وتفريط في الواقع .
فمن طبيعة الخيلة أن تعلو وتتجاوز باستمرار ، وتتحرك حركة جارية
متدفقة تتخطى «الهناء» و «الآن» ، ولا تعترف إلا بالماضى أو المستقبل .
وقد أورد «إكرمان» حديثا له مع «جوته» في اليوم الثامن من شهر مارس
سنة ١٨٣١ ، أى قبل وفاته بسنة واحدة ، يمكن أن ينطبق على «تاسو» بصورة
مباشرة . فقد قال له «جوته» إنه لا شك أن في الشعر وبالأخص في غير
الشعورى منه شيئا شيطانيا لا يدركه الفهم ولا العقل ، ويؤثر من أجل
ذلك تأثيرا لا يمكن تصور مداه . «ولابد أن «جوته» قد أراد أن يحد من

خطر رومانتيكى كان يشهده ويغريه بالأنسياق وراء الخيال الجامح والبعد
عن الأرض ونظمها وأشكالها . ولا بد أنه وصل بذلك إلى الهدوء والاتزان
الذى تميز به فى حياته وأعماله .

ولكن هل وصل «تاسو» نفسه إلى شيء من هذا الهدوء والاتزان؟ هل
وجد فى النهاية بعض الغزاء عن حزنه المنكسر الأليم؟ وهل كان فى قدرته
على التعبير عن هذا الحزن أو فى شاعريته نفسها ما يعوضه عن فشله وهوانه
فى العمل والحياة؟

لا بد أنه أحس بما يشبه الغزاء الميتافزيقى عن تحطم وجوده التعيس حين
قال عن نفسه فى نغمة لا تخلو من الفخر والكبرياء إن الله قد أعطاه القدرة
على التعبير عن عذابه حين حرم غيره من هذه القدرة وتركه أخرس من الألم:

لم يبق إلا شيء واحد : الدموع التى أعطتها لنا الطبيعة
وصرخة الألم التى يطلقها الإنسان

حين يعجز عن الاحتمال .

وأنا الذى احتفظت بهذه الهدية السامية

تركت لى فى الألم اللحن والخطاب

لأشكو همومى كلها فى نشيدى :

وإذا ما أخرس الإنسان عذابه

وهبى الرب أن أعبر عن عذابى .

ما أجمل هذه النعمة التى وهبتها له السماء ، وما أعظم المعرفة التى
تفيض — على مرارتها — بالحكمة والصفاء ، والتضحية التى قدم بها حياته
قربانا للشعر والشغراء !

ملحوظة

بقيت كلمة أحب أن أسوقها عن هذه الترجمة . فقد رجعت فيها إلى النص المحقق الذي نشر في طبعة هامبورج المشهورة لأعمال «جوته» ، بإشراف الأستاذ «يوسف كونس» Joseph Kunz كما استفدت في كتابة المقدمة من تعليقه على المسرحية ومن الفصل الذي كتبه عنها العلامة «بنوفون فيزه» Benno Von Wiese في كتابه التراجيديات الألمانية من لسينج إلى هيبيل . وقد رجعت كذلك إلى الترجمة الفرنسية التي قام بها «هنري توما» H. Thomas ونشرت مع بقية مسرحيات «جوته» في مجموعة البلياد المشهورة واستفدت منها كثيرا في توضيح ما غمض على من النص الأصلي . ولست أدري إن كانت هذه الترجمة قد استطاعت أن تنقل بعض ما في الأصل الشعري من رقة وجمال لا يوصف فالأفضل أن أترك الحكم في ذلك للقراء !

عبد الغفار مكاوي

تاسو

مٽائيف : يوهان فولفجانج جوتہ
ترجمہ وٽقديم : د. عبدالغفار مڪاوى

شخصيات المسرحية

الفونس الثانى : امير فرارا . Alfons der Zweite, Herzog von Ferrara

ليونورا فون استه :
شقيقة الامير . Leonore von Este, Schwester des Herzogs.

ليونورا سانفيتاله :
دوقة سكانديانو . Leonore Sanvitale, Gräfin von Scandiano.

توركوأتو تاسو Torquato Tasso.

انطونيو مونتيكاتينو : وزير . Antonio. Montecatino, Staatssekretär.

((المشهد فى بلربجواردو ، احد لمصور الترف)).

الفصل الأول

المنظر الأول

« فناء حديقة تزينه تماثيل نصفية
لشعراء الملاحم » .
« يظهر في مقدمة المسرح على اليمين
تمثال فرجيل ، وعلى اليسار تمثال
أريوست » .

المشهد الأول

« الأميرة — ليونورا »

الأميرة : ليونورا ، أنت تنظرين إلى وتبتسمين
ثم تنظرين إلى نفسك وتبتسمين من جديد .
ماذا بك ؟ دعي صديقتك تعرف الخبر !
التفكير يبدو عليك ، ومع هذا يبدو عليك السرور ،
ليونورا . أجل يا أميرتي ، يسرني أن أرانا هنا
في زينة أهل الريف .
نبدو كالراعيات السعيدات

ويشغلنا ما يشغل السعداء .
نحن نعقد الأكاليل . هذا الذى يزدان بالزهور (١)
يكبر شيئا فشيئا فى يدى ،
وأنت بفكرك السامى وقلبك الكبير
قد اخترت الغار الرقيق النحيل .

الأميرة : الأغصان التى جدلتها بالفكر والخيال ،
سرعان ما وجدت رأساً بها جديراً :
إنى أضعها ممتنة على رأس فرجيل .
(تضع الإكليل على رأس فرجيل)

ليونورا : وها أنا أيضاً أثبت إكليلي المكتمل البهيج
على جبهة المعلم لودفيج العالية (٢) .

(١) وجد جوته مشهد التتويج مصوراً على غلاف الترجمة الألمانية للمحنة
تاسو الشعرية أورشليم المحررة التى كان يعرفها منذ صباه .
(٢) المقصود به هو الشاعر الإيطالى لودفيكو أريوستو (١٤٧٤ - ١٥٣٣)
وكان أبوه موظفاً فى بلاط أمير «فرارا» . درس القانون ثم عدل عنه إلى دراسة
الحضارة القديمة وفن الشعر وبدأ يكتب أشعاراً باللغة اللاتينية . اضطر
بعد وفاة والده (١٥٠٠) إلى رعاية شئون أسرته ، فالتحق بخدمة الكاردينال
«ابوليتو دسته» الذى أراهقه بالعمل مما جعله يلتحق ببلاط «الفونسو دسته»
حيث قضى بقية حياته هناك . ألف مسرحيات هزلية على نمط مسرحيات
«بلاوتوس وثيرنس» لتعرض على مسرح البلاط ، كما وضع عدداً كبيراً من القصائد
الانتقادية الساخرة التى تسمى بالساتير ينتقد فيها عصره وبيئته . ولكنه
عرف فى تاريخ الأدب بملحمته الشعرية الكبرى أورلاندو الغاضب
Orlando Furioso التى ألفها فى سنة ١٥٣٢ فى ستة وأربعين نشيداً وتعد
أكمل الأعمال المعبرة عن عصر النهضة .

(تضع الإكليل على رأس أريوست)

هذا الذى لن تدبل دعاياته
ليأخذ حظه من الربيع الحديد .

الأميرة : شاعت مروءة شقيقى أن يرسلنا
فى هذه الأيام إلى الريف .

نستطيع أن نخلد إلى أنفسنا ونقضى الساعات
ونحن نحلم فى زمان الشعراء الذهبى .
أحب بلريجوار دو ، فكم من يوم بهيج .
من أيام الشباب عشته هنا فى حبور ،
وهذه الأوراق الخضراء ، وهذه الشمس
تبعث فى وجدانى الإحساس بالزمن البعيد .

ليونورا : أجل . إن عالماً جديداً يحيط بنا !
ظلال هذه الأشجار المخضرة أبداً
تغمر القلب بالسرور .

وخرير الأمواج يسعد النفس من جديد .
الغصون الشابة تهدهدها ريح الصباح .
والزهور تتطلع إلينا من أحواض الزرع .
وفى عيونها الطفلية نظرة ودود .
والبستاني يرفع مطمئناً سقف البيت الزجاجى .

الذى غرس فيه الليمون والبرتقال .

السماء الزرقاء تمتد من فوقنا ،

وعلى مدى الأفق يذوب الثلج .

على فمم الجبال البعيدة

ويرسل أنفاس العير .

الأميرة : كم كنت أود أن أرحب بالربيع

لو لم يسلب منى صديقتى .

ليونورا : لا تذكرينى ، فى هذه الساعات الحسان

بأننى ، يا أميرتى ، سأرحل عن قريب .

الأميرة : كل ما قد تهجرينه ، سوف تجدينه مضاعفا

فى تلك المدينة الكبيرة من جديد .

ليونورا : الواجب يدعونى ، والحب ينادينى

للزواج الذى طال حرمانه .

سأحضر له ولده ، الذى أسرع نموه

وزكت تربيته فى هذا العام

وأشاركه فرحة الآباء .

عظيمة هى فلورنسا ورائعة :

غير أن كنوزها المتراكمة

لا تعدل قيمتها نفائس « فرارا » .

إن الشعب هو الذى جعل من تلك المدينة مدينة ،
أما « فرارا » فبفضل أمرائها أصبحت عظيمة (١).

الأميرة : بل الفضل للطيبين

الذين أقبلوا إلى هنا بمحض الصدقة
وجمع الحظ بيننا وبينهم .

ليونورا : من اليسير على الصدقة أن تفرق ما جمعت .

أما الإنسان النبل فيجذب النبلاء إليه
ويعرف كيف يحتفظ بهم ، مثلما تفعلون .

من حول شقيقك ومن حولك

تتآلف قلوب جديرة بكما

وأنتما جديران بأبائكما العظام .

هنا توقدت في بهجة

شعلة العلم وحرية الفكر الحميلة (٢) ،

بينما كان التوحش يلقي ظله الكثيف

على العالم المحيط بكم .

كنت لا أزال طفلة ، عندما رنت أسماء هرقل

(١) إشارة إلى أمجاد عائلة « استه » ، فقد استضاف جد الأمير الحاكم
لمدينة فرارا ، وهو هرقل فون استه ، الشاعر بوياردو في قصره ، كما
استضاف أبته هيبوليت الشاعر أريوستو .

(٢) تعطى الأبيات التالية صورة معبرة عن الحياة العقلية والروحية في
عصر النهضة الإيطالية .

وهيوليت في أذني .
كان أبي يكثر من الثناء
على « فرارا » ثناءه على روما وفلورنسه !
طالما اشتقت إليها ، وها أنذا الآن أعيش فيها .
هنا حل بتراركا ضيفا ، وهنا لقي الرعاية ،
وأريوست عثر هنا على نماذجه .
وما من اسم عظيم ذكرته روما
إلا وحل ضيفا على هذا البيت .
وإنها لمزية أن تستضيف العبقري :
إن أنت قدمت له هدية ،
رد لك الهدية بأحسن منها .
المكان الذي يحل فيه لإنسان طيب
تحل فيه البركة ؛ ولا تزال كلمته وعمله
ترددان في سمع الحفيد بعد مائة عام .
الأميرة : هذا لو كان للحفيد مثل ما لك من إحساس حي .
إني كثيراً ما أغبطك على هذه النعمة .
ليونورا : التي تستمتعين بها في هدوء وصفاء
متعة لا يعرفها إلا القليلون .
إن قلبي ليدفعني إلى الإفصاح
غما أحس به ملء الفؤاد ،

أنت تحسين به أفضل وأعمق وتصمتين .
أنت لا يبهرك مظهر اللحظة العابرة ،
ولا الذكاء يخلبك . عبثا يحاول التملق
أن يلتصق بأذنيك ،
إن فكرك يظل راسخا ، وذوقك سليما .
وحكمك صائبا ، وحظك من العظمة دائما عظيم
فأنت تعرفينها كما تعرفين نفسك .

الأميرة : أولى بك ألا تخلعى على هذا الملك الرفيع
ثوب الصداقة الحميمة

ليونورا : بل الصداقة عادلة ، فهي وحدها
التي تستطيع أن تقدرك حق قدرك .
دعيني كذلك أذكر للحظ والمناسبة
دورهما في تكوين روحك ،
إنك تملكينها حقا ، وإنك أنت في النهاية هذه الروح ،
والدنيا كلها تكرمك أنت وشقيقتك (١)
وتعلي قدركما فوق عظيما النساء في زمانكما .

الأميرة : كل هذا ، يا ليونورا ، لا يؤثر على كثير ،

(١) إشارة الى لوكرتسيا شقيقة الأميرة ، وقد كانت زوجة لولى عهد أوربينو ، التي كان عقبها سبب تعاستها « قارن في ذلك المشهد الثانى من الفصل الثالث » .

كلما تذكرت أننا لا نساوى إلا القليل ،
وأن هذا القليل ندين به لغيرنا .
إن معرفتي باللغات القديمة ، وبأفضل ما خلفه
لنا العالم القديم شيء أدين به لأمتي .
ومع ذلك فلم تكن إحدى ابنتيها لتدانيه
في علمها ولا في حكمها السليم
ولو حاولت إحدانا أن تقارن نفسها بها ،
لكانت لوكرسيا بذلك أولى مني .
كذلك أستطيع أن أؤكد لك
أنني ما نظرت يوما إلى ما وهبني الطبيعة أو أولانيه الحظ
على أنه ملك لي ، أو أنني جديرة به .
إن مما يسعد نفسي ، حين أسمع الأذكاء يتناقشون ،
أن أتمكن من فهمهم وتتبع ما يريدون .
قد يكون حكما على رجل من رجال العصر القديم
أو على قيمة أعماله ،
أو قد يدور الحديث عن علم نمته التجربة
فنفع الإنسان وارتفع به في آن ،
في أي وجهة دار حديث هؤلاء النبلاء .
وجدتني أتبعهم ، لأنني أحب أن أتابع الحديث .

أحب أن أشهد مناظرات الحكماء ،
وأرى كيف يعث في رقة بشفاه الخطباء
كلامهم عن القوى الصديقة أو القوى المخيفة
التي تحرك صدر الإنسان ،
وأحب أن أرى كيف تصبح شهوة الأمراء
إلى الحكم والتوسع في الممتلكات
موضوعا يتناوله المفكرون ،
وكيف تستطيع الفطنة اللطيفة
التي يتعهد بها اللبيب بالرعاية الدقيقة
أن تعلمنا بدلا من أن تؤذينا .

ليونورا : وبعد أن تنتهى مثل هذه الأحاديث الجادة ،

يستريح السمع والوجدان

لتذوق قوافي الشاعر ،

الذى يسكب أحب المشاعر

في النفس بأنغام عذاب .

إن روحك العالى يحيط بمملكة شاسعة ،

أما أنا فأوثر أن أقيم

في جزيرة الشعر التي تنمو فيها أشجار الغار :

الأميرة : لقد أكدوا لى أن شجرة المر(١)

(١) يقال انها الشجرة المقدسة عند الهة الحب فينوس .

هى التى تؤثر أن تنمو فى هذا البلد الجميل
أكثر من غيرها من الأشجار .
وإذا كانت ربات الفن والجمال كثيرات العدد
فيندر أن يبحث الإنسان بينهن عن صاحبة ورفيقة ،
لأن لقاء الشاعر أحب إلى نفسه .
إنه يتجنبنا ، لا بل يبدو كأنه يهرب منا ،
ويبحث عن شيء لا نعرفه
وقد لا يعرفه هو نفسه فى نهاية المطاف .
ما أجمل أن يلقانا عندئذ فى اللحظة المواتية
وأن يتعرف فينا ، والبهجة تغمره ،
على الكثر الذى طالما بحث عنه عبثا فى العالم البعيد .
ليونورا : لا بد لي من قبول دعابتك ،
إنها تصيبني حقا ، ولكنها لا تصيبني فى الصميم .
إننى أقدر كل إنسان وأعرف له فضله ،
ولست أحس لتاسو بغير العدل والإنصاف .
إن نظرتة لا تكاد تستقر على هذه الأرض ؛
لكن أذنه تسمع ألحان الطبيعة المنسجمة ؛
كل ما يقدمه التاريخ من كنوز ، كل ما تهديه الحياة ،
يتلقاه صدره بالحب والعرفان :
إن وجدانه يجمع كل ما تباعد وتشتت

وإحساسه يهب الحياة لما لا حياة فيه .
كثيراً ما يصفى النبل على ما يبدو لنا وضيعاً ،
والشيء الذى نقدره يصبح فى عينيه علماً وهباء .
هذه هى الدائرة الساحرة
التي يتجول فيها هذا الرجل المدهش .
ويغرينا على التجوال معه فيها
ومشاركته الحياة التي يحياها :
إنه يبدو كأنه يقترب منا ، ومع ذلك يظل عنا بعيداً ،
ويبدو عليه كأنه يتطلع إلينا ،
ومن يدري أية أشباح غريبة .
تراءى له فى مكاننا .

الأميرة : أراك صورت الشاعر الذى يهيم فى ممالك الأحلام العذبة
فى صورة لطيفة ورقيقة
ومع هذا يبدو لي أن الواقع
يجذبه كذلك إليه بقوة ويسيطر عليه .
هذه الأغاني الحميلة التي نلقاها
معلقة هنا وهناك على الأشجار
أشبه بتفاحات ذهبية ، أو بنجمة المساء .

ألا ترين أنها الثمار العذبة لحب حقيقي ؟
ليونورا : أنا أيضاً أبتهج بهذه الصفحات الحسان .
إن روحه الخصب يمجّد صورة واحدة
في كل أبياته وقصائده .
أحياناً يفتنه سناها المضيء
فيرفعها إلى السماء المزدانة بالنجوم ،
ويسجد أمامها سجود العابد
كما تفعل الملائكة فوق السحاب ،
أو يشرق الخطا ليفتش عنها في المروج الناعسة ،
ويعقد لها تاجاً من كل زهرة تصادفه .
فإذا ابتعدت المعبودة ،
راح يبارك الدرب الذي وطّته قدمها الجميلة .
لأنه يتخفى كالبلبل بين أغصان الأيك
ليشدو من قلب موجد
ويملاً المرج والهواء بشكواه العذبة الحنون :
إن أغنيته الساحرة تجذب الآذان ،
وكآبته المسعدة تجبر القلوب على الاستسلام .
الأميرة : وإذا أراد أن يسمى محبوبه
فسوف يسميه ليونورا .

ليونورا : إنه اسمك ، كما هو اسمي .
ولقد كان يسيئني أن يختار اسما سواه .
يسعدني أنه يستطيع بهذا المعنى المزدوج
أن يخفي عاطفته نحوك .
كما يرضيني أن يتذكرني أيضا
كلما نطق بهذا الاسم العذب .
بعيد عن خاطري الآن ذلك الحب
الذي يريد أن يسيطر على المحبوب
ويملكه بلا شريك ، وتدفعه الغيرة
أن يحميه من كل الأنظار .
إذا كان في ساعات الإلهام السعيد
ينصرف إلى التأمل في سمو قدرك
فربما أسعده أن يلتفت
في بعض الأحيان إلى قدرى الضئيل .
إنه لا يحبنا - واعذريني أن أقولها لك ! -
بل يجمع ما يحبه من كل الأجواء
ليضعه في اسم واحد نحملة
ويعبر به عن إحساسه ؛
ينخل إلينا أننا نحب الرجل ،
وما نحب في الواقع إلا أسمى ؛

ما يمكن أن نصل إليه بالحب .

الأميرة : لقد تعمقت في هذا العلم يا ليونورا .
إنك تقولين لي أشياء لا تكاد تلمس إلا أذني
ولكنها لا تنفذ أبدا إلى روحي .

ليونورا : أمثلك يا تلميذة أفلاطون لا تفهم (١)
ما تجرؤ مستجدة على الثرثرة به ؟ !
لابد أنني أخطيء بالغ الخطأ ،
ولكن لا ، إنني لا أخطيء تماما ، وهذا ما أعرفه
جيداً .

إن الحب لم يكن يظهر في هذه المدرسة النبيلة
في مظهر الطفل المدلل كدأبه على الدوام :
بل كان الشاب الذي تزوج بسيخة (٢)
وجلس مع الآلهة يدلي بالرأى والمشورة .
إنه لا يضطرب هنا وهناك
نزقا من قلب إلى قلب ،

(١) إشارة إلى تأثير أفلاطون على النهضة الإيطالية ، وبخاصة على أكاديمية
فلورنسة وفي أعقابها أكاديمية «فرارا» ، وكذلك إلى تأثير الفلسفة الأفلاطونية
على هذه المسرحية وعلى تفكير جوته بوجه عام . ويستطيع القارئ أن يتبين
ذلك في تردد بعض الانفساء المعروفة في محاورات أفلاطون مثل الإيروس
(العشق) والجمال والتذكر والإشارة المستمرة إلى عالم المثل (راجع المقدمة) .
(٢) أو النفس في اللغة اليونانية ، وهي فيما تروى الأساطير زوجة إيروس
أو الحب .

ولا يعمه في ضلاله العذب
ليتشبث بالشكل والجمال ،
ولا يكفر عن نشوته العاجلة
بالسخط والاشمئزاز .

الأميرة : ها هو ذا أخى مقبلا !
فلنحاول ألا يفضحنا الحديث
حتى لا يسخر بكلامنا
كما سخر من قبل بملبسنا .

المشهد الثانى

(السابقون — ألفونس)

ألفونس : أبحث عن تاسو ، الذى لا أعثر عليه فى أى مكان ،
وحتى هنا لا أجده معكما .

هل تستطيعان أن تنبأنى بخبر عنه ؟

الأميرة : بالأمس رأيته لحظة ، واليوم لم أراه .

ألفونس : إنه يقترف الخطأ القديم ، إذ يسعى إلى الوحدة
لا إلى صحبة الناس .

لئن غفرت له فراره من زحام البشر

وليثاره الإخلاد إلى روحه ، يسامرها فى حرية وهدوء

فلن أستطيع أن أغفر له

أنه يبتعد بنفسه عن دائرة الأصدقاء .

ليونورا : أيها الأمير . إن لم أكن مخطئة

فسرعان ما تحول لومك إلى ثناء .

لقد رأيته اليوم من بعيد :

كان يحمل في يده كتابا ولوحا
وكان يكتب ثم يمشى ثم يكتب من جديد .
كلمة عابرة قالها بالأمس لى
أحسست أنها تعلن إتمام عمله .
لم يبق أمامه غير لمسات صغيرة
ويقدم لمروءتك التى طالما أنعمت بها عليه
الهدية التى هى بها جديرة .
ألفونس : مرحبا به إن حملها إلى ،
ولينل عفوى إلى أمد طويل .
بقدر ما أبدى من الاهتمام بعمله ،
وبقدر ما تسعد نفسى — ولابد أن تسعد —
بهذا العمل العظيم
فإن قاتى أيضاً يترأى كل يوم .
إنه لا يفرغ منه ، ولا يستطيع أن يتمه ،
بل يغير فيه بلا انقطاع ، ويتقدم ببطء ،
ثم يتوقف من جديد ، ويخيب فيه الرجاء :
عسير على النفس أن يرى الإنسان
كيف تفلت منه المتعة
التي ظنها قريبة منه .
الأميرة : أما أنا فأثني على هذا التواضع ،

وأمتدح الحرص الذى يسير به
خطوة فخطوة إلى الهدف .
لم تكن أبياته لتتحد فى مجموع حتى
حتى ترضى عنه ربات الفن والجمال
وإن نفسه لا تصبو إلى شيء
كما تصبو إلى أن يكتمل قصيده فى كل منسجم .
إنه لا يريد أن يكون خرافة على خرافة
قد تشوق وتسحر ، لكنها تخدعك فى آخر الأمر
ويضيع صداها كما تضيع الكلمات المفككة .
دعه يا أخى ! فإن الزمن
ليس مقياسا للعمل الجيد ؛
وإذا كان للأجيال المقبلة أن تستمتع به
فالواجب على الذين يعيشون مع الفنان أن ينسوا أنفسهم .
ألفونس : فلنوحده جهودنا ، يا شقيقتى المحبوبة ،
كما فعلنا فى أغلب الأحيان ، لخيرنا المشترك !
إن تشددت عليه ، فتلطفى أنت معه :
وإن وجدتك مفرطة التسامح ، رحت أتعجله .
ربما وجدناه عندئذ على حين فجأة
وقد أدرك الهدف الذى طالما تمنيناه .
هناك فليدهش الوطن ، وليدهش العالم كله

لروعة العمل الذى أتمه .
سأنال أنا نصيبى من ذلك المجد
وستفتح له أبواب الحياة .
لا يستطيع الرجل النبيل أن يقتصر
فى ثقافته على مجال محدود .
لا بد أن يؤثر الوطن
ويؤثر العالم كله عليه ،
لابد له أن يتعلم
كيف يحتمل الشاء والهجاء .
سوف يجد نفسه مضطرا
إلى أن يحسن معرفة نفسه وغيره
ولن تستطيع الوحدة أن تهدده
بأوهامها التى تتملقه .
وإذا كان العدو لا يبقى عليه
فلا يجوز للصديق أن يراعيه ؛
هنالك يجرب الشاب قدرته على الكفاح
فيحس بكيانه ، ويشعر بأنه قد أصبح رجلا .
ليونورا : إذن فسوف تقدم له ، يا أمير ، كل ما تستطيع
كما قدمت له الكثير حتى الآن .
إن الموهبة تتكون فى ظل السكون ،

ودوامه الحياة هي التي تربي الطباع .
ليت وجدانه يتعلم من دروسك كما تعلم فنه !
فلا يعود يتجنب الناس ، ولا يتحول سخطه
في نهاية الأمر إلى الخوف والحقد !

ألفونس : لا يخاف الناس إلا من يجهلهم ،
ومن يتجنبهم سرعان ما يسيء فهمهم .
ذلك هو حاله ، وكذلك يضطرب الوجدان الحر
ويحبس نفسه مع الأيام في الأغلال .
كثيراً ما أراه يهتم بنيل رضاي
أكثر مما ينبغي لمثله ؛
ويسىء الظن بعدد كبير من الناس
أعلم تمام العلم أنهم ليسوا أعداءه .
وإذا حدث أن فقد له خطاب
أو انتقل من عنده خادم ليخدم غيره
أو ضاعت إحدى أوراقه
أسرع إلى الحكم بأن وراءها نية سيئة
وخيانة وحيلة ماكرة
تريد أن تدمر مصيره .

الأميرة : فلنحاول ، يا أخي ، ألا ننسى
أن الإنسان لا يمكنه أن يتخلى عن نفسه

وإذا حدث لصديق ورفيق سفر أن جرحت قدمه ،
ألا نفضل في هذه الحالة أن نمشي على مهل
ونمد له يدنا عن طيب خاطر ؟

ألفونس : الأفضل من ذلك أن نحاول شفاؤه ،
ونسرع بتجربة العلاج الذي ينصح به الطبيب ،
ثم نمضي فرحين مع الرفيق المعاني
على الطريق الحديد للحياة المستبشرة .
ومع ذلك فلأنني أرجو يا أحبائي
ألا يقال عني إنني تحملت وزر الطبيب التماسي .
لأنني أفعل كل ما أستطيع ،
لكي أثبت في قلبه الثقة والأمان .
وأقدم له أمام الكثيرين
من الدلائل ما يؤكد رضاه .
فإذا جاء إلى شاكيا ، أمرت على الفور بالتحقيق ،
كما فعلت أخيرا حينما صور له الخيال
أن اللصوص قد داهموا حجراته .
فإذا لم يتم الكشف عن شيء
شرحت له رأيي في اتزان .
وكما أن على الإنسان أن يجرب كل شيء ،
فلأنني أجرب الصبر مع تاسو ، لأنه يستحقه :

ولئى لأعلم أنكما تؤيدانى .
لقد أتيت بكما إلى الريف
وسأعود إلى المدينة فى المساء .
سوف تريان أنطونيو لبضع لحظات ،
إذ سيحضر من روما ليأخذنى معه .
أمامنا أمور كثيرة لابد من بحثها والانتهاه منها ؛
وقرارات لابد من اتخاذها ، ورسائل لابد من كتابتها ؛
وكل هذا يدعونى للرجوع إلى المدينة :
الأميرة : هل تأذن لنا بمصاحبتك ؟
ألفونس : بل ابقيا فى بلرجواردو ، وسافرا معا إلى كونساندولى ! (١)
واستمتعا بالأيام الجميلة كما يحلو لكما .
الأميرة : ألا يمكنك حقا أن تبقى معنا ؟
وتدبر هنا شئونك كما تدبرها فى المدينة ؟
ليونورا : وهل تحرمنا على الفور من أنطونيو
الذى ننتظر منه أن يروى الكثير عما شاهدته فى روما ؟
ألفونس : مستحيل ما تطلبان يا صغيرتى ،
ومع ذلك فسأعود معه ، بأسرع ما نستطيع :
وعندئذ تستمعان إلى حكاياته ، وتساعدانى على مكافأته

(١) أحد قصور المتعة والترف بالقرب من مدينة فرارا .

وهو الذى يبذل فى خدمتى الكثير .

فإذا فرغنا من الحديث ،

فليأت الضيوف كجماعات النحل

ليشيعوا الفرع فى حدائقنا ،

ولألق تحت الظلال الرطبة

الحمال الذى أفتش عنه ويحن قلبى إليه .

ليونورا : سنحاول أن ننظر من خلال الأصابع (١)

ألفونس : وسترين إلى أى حد يذهب بى التسامح .

الأميرة : (وهى تستدير ناحية المسرح) :

أرى تاسويتقدم نحونا من مدة طويلة

إنه يسير بخطى بطيئة ، ويقف كالمتردد

فجأة بلا حراك ،

ثم يعود فيبحث السير نحونا ،

وها هو ذا يتوقف من جديد .

ألفونس : حين تريانه يتأمل ويبدع :

فلا ترعجا أحلامه ، بل اتركاه يتجول كما يشاء .

ليونورا : لا ، لقد رأنا ، وها هو ذا قادم نحونا .

(١) أى سنحاول أن نغمض أعيننا !

المشهد الثالث

(السابقون — تاسو)

تاسو : (ومعه كتاب مجلد بالرق) :
ها أنا ذا أتقدم في بطاء ، لأعطيك كتابا
وما زلت أتردد في تسليمه إليك .
أعلم تمام العلم أنه لا يزال ناقصا
وإن بدا عليه أنه تم وانتهى .
إذا كنت قد أحسست بالهم
لأنني أهديه إليك قبل إتمامه
فقد استولى على هم جديد
من أن أبدو شديد الخوف
أو أظهر في مظهر الجاحد .
وكما يستطيع امرؤ أن يقول : ها أنذا !
فيفرح به الأصدقاء ويسامحونه
كذلك لا أملك أنا أيضاً إلا أن أقول : خذ من يدي !
(يقدم له الكتاب)

ألفونس : أنت تفاجئني بهديتك

وتجعل من هذا اليوم الحميل عيداً .
ها أنا أحمل الكتاب أخيراً بين يدي
وأعده على نحو من الأنحاء كتابي !
طالما تمنيت أن تحزم أمرك

وتقول في النهاية : هاك الكتاب ! لقد اكتملت !

تاسو : إن رضيت به ، فقد تحقق غرضي ،

لأنه كتابكم ، من كل ناحية .

لو أنني فكرت في الجهد الذي بذلته فيه ،

ورأيت الخطوط التي رسمتها ريشتي ،

لقلت لنفسي : إن هذا الكتاب كتابي .

ولكنني كلما أمعنت النظر ،

وبحثت عما يعطي هذا القصيد

قيمته العميقة ومتزلته العالية

عرفت أنني لم أستمده إلا منكم .

إن كانت الطبيعة الحنون قد وهبتني

نعمة الشعر الرائعة ،

فقد شاء القدر العنيد

أن يبطش بي ببطشه القاسي ؛

وإن كان العالم بكل ما فيه من جمال

قد سحر عيون الصبي الصغير
 فسرعان ما كدر روحه الشاب
 ما حاق بأبويه الحبيين
 من بؤس لم يستحقاه (١) .
 كنت كلما تفتحت شفتاي للغناء
 أنسكبت منهما الأغنية الحزينة ،
 ورحت أصاحب بالأنغام الهامسة
 آلام الأب وعذاب الأم .
 أنت وحدك الذي خلصتني من هذه الحياة الخائفة
 ورفعتني إلى سماء الحرية الحميلة
 أنت الذي أزحت الهموم عن جبهتي
 وحررت روحي فرفرف جناحها بالغناء ؛
 وسواء ما كان الجزاء الذي ينتظر كتابي
 فلئنني أدين لك به ، لأنه منك وإليك .
 ألفونس : تستحق الحمد مرتين ،
 فأنت تكرم نفسك في تواضع
 وتكرمنا معك ؛

(١) إشارة إلى ما لقيه أبوه برناردو من قسوة القدر . فقد كان شاعر
 الليلاط عند أحد النبلاء في نابولي ، ثم أدين وطرده من البلاد ، واضطرت
 زوجته إلى البقاء في مدينة « سورت » لتعيش في بؤس مع طفليها توركواتو
 (وهو شاعرنا تاسو) وشقيقته كورنيليا .

تاسو : آه لو استطعت أن أعبرك لك
عن إحساسى الخالص بأن ما أحمله لك
إنما يأتى منك أنت !
ذلك الشاب الذى لم يكن قد جرب شيئا ،
أكان فى مقدوره أن يستمد هذه القصيدة من نفسه ؟
هل كان فى استطاعته أن يدرك
كيف تدبر الحرب الحاطقة تديرا حكيما ؟
فنون البراعة فى السلاح ، التى يبدىها الأبطال
فى اليوم الموعود
ألمعية القائد وشجاعة الفرسان ،
وكيف يتنافس الدهاء مع اليقظة فى التزال ،
ألم تكن أنت ، أيها الأمير الحكيم الشجاع ،
من بث فى نفسى هذا كله ، وكأنك شيطانى الملهم
الذى يحلو له أن يكشف عن طبيعته السامية
فى جسد إنسان فان ؟
الأميرة : تمتع الآن إذن بالعمل الذى أسعدتنا به !
ألفونس : إبتهج بحفاوة الطيين !
ليونورا : وافرح بالحمد الذى لا حد له !
تاسو : هذه اللحظة تكفينى .

ما فكرت إلا فيكم ، حين تأملت وكتبت :
رضاكم كان أقصى مناي ،
ولسعادكم كان أسمى أهداني .
من لا يرى العالم بعيون أصدقائه
لا يستحق أن يلتفت العالم إليه .
هنا وطني ، وهنا دائرة الصحاب
الذين ترتاح نفسي إلى المقام بينهم .
هنا تصغي روحي ، وتلتقط كل إشارة ،
هنا تتكلم التجربة ، والمعرفة ، والذوق ،
أجل ، وهنا يتجمع الحاضر والمستقبل أمام ناظري .
الحماهير تفضل الفنان وتملؤه ذعرا :
أما من يشبهكم ، فهو وحده الذي يفهم ويحس ،
وهو وحده الذي يحق له أن يحكم ويشب !

ألفونس : إذا كنا نمثل العالم في الحاضر والمستقبل
فلا يخلق بنا أن نأخذ بغير أن نعطي .
العلامة الحميلة ، التي تشرف الشاعر
وأتى يراها البطل نفسه — وهو الذي يحتاج إليها
على الدوام — تتوج رأسه فلا يشعر بالحسد ،
أراها هنا تزين جبهة سلفك العظيم .
(مشيراً إلى تمثال فرجيل النصفي)

أكانت هي الصدفة ، أم هي يد الجان
التي عقدتها وجاءت بها ؟ إني لا أراها هنا عبثا .
أسمع فرجيل يقول : ما الداعي لتكريم الموتى ؟
لقد لقوا في الحياة جزاءهم ، وأخذوا نصيبهم من
السعادة ؛

إن كنتم حقاً تعجبون بنا وتبغون أن تكرمونا
فاعطوا الأحياء كذلك نصيبهم .
يكفى ما وضعوه على تمثالى المرمى من أكاليل -
أما الغصن الأخضر فقد خلق للحياة .
(ألفونس يشير إلى شقيقته فتترع الإكليل من فوق
تمثال فرجيل وتقترب من تاسو الذى يتراجع إلى
الوراء)

ليونورا : أترفض ؟ أنظر أى يد تمتد إليك

التاج الحميل الذى لا يذبل !

تاسو : دعونى أتردد ! فلست أدرى

كيف يمكننى أن أعيش بعد هذه اللحظة .

ألفونس : عش لتستمتع بالهدية الرائعة

التي أفزعتك في اللحظة الأولى أن تناولها .

الأميرة : (وهي ترفع الإكليل إلى أعلى) :

أتبع لى السعادة النادرة يا تاسو ،

لأعبر لك في صمت ، عما يدور في فكري :

تاسو : هذا العبد الجميل من يديك الغاليتين
دعيني ألتقاه راعماً على رأسى الضعيف .
(يركع على قدميه . الأميرة تضع التاج على رأسه)
ليونورا : (مصفقة) ليعش من يتلقى الإكليل لأول مرة !
كم يزين رأس الرجل المتواضع !
(تاسو ينهض واقفاً .)

ألفونس : ليس إلا رمزا لذلك التاج
الذى سيجل جبهتك في «الكابيتول» .

الأميرة : هناك ستحييك الهتافات العالية ؛
أما هنا فتكافئك الصداقة بشفاه هامسة .

تاسو : إنزعوه من على جبهتي ، أبعده !
انه يلهب خصلات شعري !
كمثل شعاع الشمس الحارق الذى يقع على رأسى
أحس به يبدد قدرتي على التفكير .
وأشعر بحرارة الحمى تعصف بدمى .
أعذرونى . إنه كثير على !

ليونورا : بل إن هذا الغصن يحمى رأس شاعر
يسير في بلاد المحمد الدافئة
ويرطب جبهته .

تاسو : لست جديرا بهذا الترطيب
الذى لا يخلق إلا بجباه الأبطال .
أيتها الآلهة ! إرفعيه بين السحب
حتى يظل عاليا خفاقاً لا يدركه أحد !
واجعلى حياتى سعيًا خالدا نحو هذا الهدف !

ألفونس : من نال متع الحياة الصافية فى سن الشباب
تعلم فى ربيع العمر كيف يقدر قيمتها العالية ؛
ومن ذاق طعمها وهو فى عنفوان صباه
لم يشعر بالحرمان مما امتلكه ذات يوم ؛
ومن ملك فقد تحصن .

تاسو : ومن أراد أن يتحصن ،
وجب أن يحس فى قلبه بالقوة التى لا تخونه أبداً .
آه ! إنها تخوننى الآن !

هذه القوة المفطورة تتخلى عني
وهى التى علمتنى كيف أصمد للقدر
وأواجه الظلم فى كبرياء .
هل أذاب الفرح قوتى ، هل بددت النشوة النخاع
من أعضائى ؟

ركبتاى تسقطان بى ! ها أنت ذى أيتها الأميرة
تريننى راكعاً أمامك للمرة الثانية !

استجيبى لدعائى : إنزعى هذا التاج عن رأسى !
حتى أحس كأننى أستيقظ من حلم جميل
لأبدأ حياة متعشة جديدة .

الأميرة : ما دمت قادرا على حمل الموهبة التى أسبغتها عليك الآلهة
بقاب متواضع رضى ،

فتعلم كذلك كيف تحمل هذه الفروع الخضراء
فهى أجمل ما نستطيع أن نهدية إليك .
من يلامس هذا الشرف رأسه مرة ،
فسوف يرف حول جبهته إلى أبد الآبدين .

تاسو : إذن فاطر كبنى أغادر خجلا هذا المكان !

دعيتى أخفى سعادتى فى الغابة العميقة ،
كما تعودت أن أخفى فيها أحزاني .
أريد أن أتجول هناك وحيداً ،

فلا تذكرنى عين بالسعادة التى لا أستحقها .

فاذا رأيت صورة رجل يحمل تاجه الرائع
منعكسة على مرآة نبع صافية

يتنكر فى سكون بين الأشجار والصخور

وتسقط عليه ظلال السماء الزرقاء

فسوف يبدو لى كأنى أرى الإليزيوم (١)

(١) هو فى الاساطير الافريقية جنة السعداء ، ومقام المنعمين الخالدين .

منعكساً على صفحة المياه الساحرة .
هناك أتأمل في هدوء وأسأل نفسي :
ظل من هذا ؟ أهو الشاب الذى عاش قديماً ؟
أهو الذى يحمل تاجاً رائعاً على رأسه ؟
من الذى يقول لى اسمه ؟ من يحكى أمجاده ؟
ويطول لى الانتظار فأتمنى
لو أن شاباً آخر جاء ، وبعده ثان
وجمع بينهم حديث ودود !
آه لو أرى الأبطال ، لو أرى شعراء العصر القديم
محتمعين حول هذا النبع !
آه لو استطعت أن أراهم هنا
متحدين إلى الأبد ، كما كانوا فى عالم الأحياء .
كذلك تؤلف قوة المغنطيس بين الحديد والحديد ،
كما يؤلف النزوع الواحد بين البطل والشاعر .
لقد نسى هوميروس نفسه ، ووهب حياته كلها
فى تأمل رجلين اثنين ،
والأسكندر لن يسعد فى الإليزيوم
حتى يلتقى بأخيل وهوميروس .
آه لو استطعت أن أكون معهم

لأرى كيف تتحد أعظم النفوس !
ليونورا : أفق ! أفق ! لا تحملنا على الإحساس
بأنك تنكر الحاضر أو تتجاهله .
تاسو : بل إن الحاضر هو الذى يسمو بى ،
وإن بدوت فى الظاهر غائبا عن البال ،
فإن روحى فى أوج النشوة .
الأميرة : تسعد نفسى حين أسمعك تحدث الأرواح ،
بصوت يفيض إنسانية ، وأنصت إليك فى سرور .
(تتقدم إحدى الوصيفات من الأمير وتهمس شيئاً
فى أذنه)
ألفونس : لقد حضر ! اختار اللحظة المناسبة !
أنطونيو ! - أحضره إلى هنا ! - ولكن هاهو قادم !

المشهد الرابع

(السابقون — أنطونيو)

ألفونس : مرحباً بك ! يا من جئتنا
بشخصك وبالبشارة السعيدة .

الأميرة : تقبل تحيتنا !

أنطونيو : لا أكاد أقوى على التعبير عما يغمرني من فرح
وأنا أجد نفسي بينكم من جديد .

كل ما حرمته وطال حرمانى
أراه الآن مرة أخرى أمامكم .

يبدو عليكم الرضا بما فعلت وما حققت يداى ؛
وهكذا أرانى وقد كوفئت على ما لقيت من متاعب ،
على أيام ثابت فيها فارغ الصبر ،
وأيام أضعتها عن قصد وتدبير .

الآن قد حصلنا على ما نتمناه

ولم يعد هناك محل للتزاع .

ليونورا : أنا أيضاً أحبك ، وإن كان يحزننى
أنك لم تأت إلا فى اليوم الذى ينبغى على أن أسافر فيه .

أنطونيو : ألكى لا تتم سعادتي
تسليينها أجمل نصيب ؟

تاسو : وأنا كذلك أحبيك ! وأرجو أن أجد السعادة
بالقرب من الرجل المحرب الحكيم .

أنطونيو : ستجد منى الصدق والإخلاص
إذا استطعت أن تلقى من دنياك نظرة على دنيائى .

ألفونس : على الرغم من أنك أخبرتنى فى رسالتك
بما بذلت من جهود وما حققت من نجاح
فما زلت أريد أن أسألك
عن الوسائل التى أنجزت بها مهمتك .

هناك على تلك الأرض العجيبة
يتحتم على الإنسان أن يحسب خطاه
إذا أراد أن يصل إلى الهدف المقصود .
ومن لا يفكر إلا فى مصلحة سيده
يجد نفسه فى روما فى موقف عصيب :

فروما تريد أن تأخذ كل شئ ، ولا تعطى شيئا ،
وإذا قصدها الإنسان لينال شيئا
لم يفز منها بغير ما جاء به معه ،
والسعيد من لا يخرج منها فارغ اليدين .

أنطونيو : أيها الأمير ! لم يكن سلوكى ولا براعتى

هما اللذان أعاناني على تحقيق مشيئتك .

فأى إنسان مهما كانت فطنته ،

لا يجد في الفاتيكان من يتفوق عليه ؟

اتفقت ظروف كثيرة

إستطعت أن أستغلها لصالحنا .

إن « جريجور » (١) يقدرك ، ويحييك ، ويباركك .

هذا الشيخ الهرم ، أجدر من يحمل عبء التاج على رأسه ،

يطيب له أن يتذكر ذلك اليوم البعيد

عندما عانقك وضمك إلى صدره .

هذا الرجل ، الذى يفهم كيف يميز بين الرجال ،

يعرفك جيدا ويضعك فى منزلة عالية !

ولذلك فقد دفعه حبه لك ، على أن يفعل لك الكثير .

ألفونس : يسعدنى أن يحسن الظن بى

على قدر إخلاص نيته .

غير أنك تعلم تمام العلم

أن من يقف فى الفاتيكان وينظر من عل إلى الممالك

يراهنا ضئيلة تحت قدميه ،

فما بالك بمن ينظر إلى الأمراء والبشر ؟

(١) المقصود هو البابا جريجور الثالث عشر .

صارحنى إذن ، ما الذى أعانك فى مهمتك ؟
أنطونيو : حسناً ! ما دمت تريد ذلك ، فهى حكمة البابا العالية .
إنه يرى الصغير صغيراً ، والعظيم عظيماً .

ولكى يحكم العالم يحلو له
أن يتساهل مع جيرانه عن طيب خاطر .
إنه يقدر الأرض التى يتركها لك
كما يقدر صداقتك حق التقدير .
إنه يريد أن تظل إيطاليا هادئة ،
وأن يكون جيرانه أصدقاءه
ويسود السلام على حدوده
حتى يستطيع المسيحيون أن يكونوا قوة
تتحد تحت قيادته ، لتقضى على الأتراك والملحدين .

الأميرة : هل هناك أحد يعرف الرجال المقربين إليه
والذين يؤثرهم بالموودة والألفة ؟

أنطونيو : الرجل المحرب وحده هو الذى يملك سمعه ، والنشيط
هو الذى ينال ثقته ورضاه .

الدولة التى خدمها وهو شاب
يحكمها الآن ويؤثر على البلاط
الذى رآه وعرفه وكثيراً ما ساس أموره
عندما كان رسولا إليه منذ سنوات .

إن نظرتة النافذة تحيط بالعالم كله
كما تعرف مصلحة بلاده .

من رآه وهو يدبر شئون الحكم أثنى عليه ،
وأسعده أن تكشف الأيام
عما أعده في صبر وصمت ، حتى حققه .
ما من مشهد في العالم أجمل
من أن يرى الإنسان أميراً يحكم عن بصيرة
ومملكة يطيع فيها كل فرد وهو فخور ،
ويؤمن بأنه لا يخدم إلا نفسه ،
لأنه لا يؤمر إلا بالحق والإنصاف .

ليونورا : ما أشد شوقى لمعرفة هذا العالم عن قرب !

ألفونس : وللمشاركة بالفعل فيه بغير جدال ؟

فمثل ليونورا لن تقنع بالتأمل من بعيد .

كم يكون جميلاً يا صديقتى . في بعض الأحيان
أن نشارك بأيدينا الرقيقة في لعبة الصراع
الدائرة بين الدول . أليس كذلك ؟

ليونورا : (لألفونس) : إنك تريد أن تثيرنى ، ولكن بغير طائل .

ألفونس : ألسنت مدينا لك بهذا من قديم الأيام ؟

ليونورا : لا بأس ، ولأبقى أنا اليوم مدينة لك !

معذرة ، ولا تقاطع أسئلتى .

(لأنطونيو) هل فعل الكثير من أجل أبويه ؟

أنطونيو : لم يفعل أكثر مما تقضى به التقاليد .

إن الحاكم الذى لا يعرف كيف يرعى شئون أهله
يلومه الشعب نفسه على ذلك

إن جريجور يعرف كيف ينفع أقاربه ،
الذين خدموا الدولة كرجال أشداء ،
فى هدوء واعتدال ،

وبذلك يؤدى واجبين متلازمين
بلفتة واحدة .

تاسو : هل تسعد المعرفة أيضا ، ويسعد الفن برعايته ؟

وهل يحذو فى ذلك حذو الأمراء العظام فى قديم
العصور ؟

أنطونيو : إنه يكرم المعرفة بقدر ما تفيد فى تدبير شئون الحكم ،
وتعلم الإنسان أن يتعرف الشعوب ؛

ويقدر الفن ، بقدر ما يشيع الزينة والجمال
ويضفى البهاء والروعة على روما ،

ويجعل من قصوره ومعابده معجزات على الأرض .

لأنه لا يسمح لشيء حوله أن يعيش فى اللهو والفراغ !

فلا بد لمن يريد أن يثبت قيمته من أن يعمل ويخدم .

ألفونس : وهل تعتقد أننا نستطيع عن قريب أن ننهى قضيتنا ،

قبل أن يخلقوا لنا المصاعب هنا وهناك ؟

أنطونيو : إن لم يستطع إمضاؤك

أو بعض الخطابات التي تحررها بيدك
أن تفض هذا النزاع
فلا بد أن أكون مخطئاً تمام الخطأ .

ألفونس

فلأحيي إذن هذه الأيام التي أحيها
ولتكن أيام سعادة وفوز .

أرى حدودي قد اتسعت وأمنت .
أدبت هذا العمل بغير أن تجرد سيفاً ،
واستحققت عليه تاج المدينة .

أريد من سيداتنا أن يعقدنه من فروع البلوط الناضرة
وأن يضعنه على جبهتك مع إشراقة الفجر الحميل .
تاسو أيضاً سخا علينا في العطاء

لقد فتح لنا بيت المقدس ، وأنجبل بذلك المسيحيين ،
وأدرك الهدف النائي والمقصد الرفيع
بالجهد الشاق والحماس البهيج
وها أنت ذا ترى التاج يزين رأسه .

أنطونيو : أنت بهذا تكشف لي اللغز .

فقد عجبت إذ رأيت رأسين متوجين
وأنا في طريق إلى هذا المكان .

تاسو : إن كنت ترى سعادتي أمام عينيك

فكم أتمنى لو استطعت أن ترى
بالنظرة نفسها وجداني الخجلان .

أنطونيو : كنت أعرف دائماً أن ألفونس

عندما يكافىء يجاوز كل الحدود
وأنت الآن تتعلم بدورك
ما يعلمه المقربون منه .

الأميرة : ستعرف عندما تطلع على العمل الذي أنجزه
أننا كنا معتدلين منصفين .

لسنا هنا إلا أول الشهود

على المجد الذي لن يبخل به العالم عليه ،
والذي سيغدقه عليه المستقبل عشرات الأضعاف .

أنطونيو : إن رعايتكم له هي التي تضمن له المجد
ومن ذا يخامر الشك حين تكافئون ؟

ولكن خبريني ، من الذي وضع هذا الإكليل على
رأس أريوست ؟

ليونورا : هذه اليد .

أنطونيو : وقد أحسنت صنعاً فهو يزيه

بأجمل مما كان للغار نفسه أن يفعل .

كالطبيعة التي تدثر صدرها الغنى العميق

بثوب أخضر بهيج ،
كذلك يدثر برداء الخرافة المتألق
كل ما يجعل الإنسان محبوباً و كريماً .
القناعة ، والتجربة ، والفهم ،
قوة العقل ، والذوق ، والحس الصافي
بالخير الحق ، تبدو في أغانيه كأنها رموز
ومع ذلك تسرى فيها حياة شخصية
و كأنها تستريح في ظلال الأشجار المزدهرة ،
تغطيها ثلوج الزهرات الخفيفة الحمل ، وتتوجها
الورود ،

بينما تحيط بها آلهة الحب العابثة ،
وتلعب لعبها الساحر كالأطفال .
نبع الفيض يهمس بجانبها
ويرينا أسماكا عجيبة الألوان
الهواء يزدهم بالطيور النادرة
والأيكه والمرعى بالقطعان الغريبة
الخبث يتصنت بين الأشجار ، ويتكشف ثم يتخفى ،
والحكمة التي يرن صوتها في سحابة ذهبية
ترسل عباراتها السامية من حين إلى حين ،
بينما يبدو وكأن الجنون يهذى في وحشية

على قيثارة محكمة الأوتار
ويلتزم مع ذلك بإيقاع الأنغام .
من أحس أنه جدير بأن يضع نفسه بجانب هذا الرجل
فقد استحق على جسارته هذا الإكليل ،
أعذروني إذا كنت أحس بالحماس يغمرني ،
وأندفع كالملهم النشوان فلا أفكر في الزمان أو المكان
ولا أتدبر ما أقول ؛

فهؤلاء الشعراء ، وهذه الأكاليل ،
وهذه الثياب البديعة على نسائنا الحميلات ،
تنسيني نفسي وتنقلني إلى عالم غريب .

الأميرة : من عرف كيف يقدر فضلا واحدا
لم يعجزه أن يقدر فضلا آخر .
سيكون عليك أن تكشف لنا في قصائد تاسو
عما نشعر به وتفهمه أنت وحدك .

ألفونس : تعال يا أنطونيو ! ما زالت هناك أشياء كثيرة أحب
أن أسألك عنها .

بعدها تستطيع أن تفرغ للنساء إلى أن تغرب الشمس .
تعال ! الوداع .

(أنطونيو يتبع الأمير ، وتاسو يتبع السيدتين)

الفصل الثاني

قاعة

المشهد الأول

(الأميرة — تاسو)

تاسو : خطواتي تتبعك مترددة يا أميرتي ،
وأفكار بلا قيد ولا نظام تضطرب في روحي .
يبدو لي كأنني أرى الوحدة تشير إلى
وتهمس قائلة في صوت حنون :
تعال أخلصك من هذه الشكوك التي تثور في صدرك .
غير أنني حين أنظر إليك ،
وتسمع أذني المتلهفة كلمة واحدة من شفتيك
يتجلى لي نهار جديد
وتتكسر عني الأغلال .
أريد أن أعترف لك
بأن الرجل الذي جاءنا على غير انتظار

قد أيقظنى بلا رحمة من حلم جميل ؛
إن وجوده وكلماته قد صدمتنى على نحو غريب ،
حتى لأشعر كأن نفسين تتصارعان فى كيانى ،
وأنى بدأت أرتبك وأتنازع مع ذاتى .

الأميرة : من المستحيل على صديق قديم

طالت غيبته وعاش حياة غريبة
أن يعود فى نفس اللحظة التى يرانا فيها
نفس الصديق الذى عرفناه من قبل .
إنه فى صميم قلبه لم يزل كما كان ؛
إنتظر حتى نقضى معه أياماً قليلة ،
وسوف تتناغم الأوتار هنا وهناك ،
ويؤلف بينها الانسجام السعيد .
فاذا تم له كذلك أن يتعرف
على العمل الذى حققته فى هذه الفترة
فلن يتردد فى أن يضعك إلى جانب الشاعر
الذى يعارضك به الآن ويصوره فى صورة العملاق .

تاسو : آه يا أميرتى ! إن ثناءه على أريوست

لم يسىء إلى بل أسعدنى .
ذلك أن عزاءنا نحن الشعراء
أن نجد الناس يمتدحون الرجل

الذى نعهه المثل العظيم .
هنالك يهمس الواحد منا لنفسه فى الخفاء :
إن استطعت أن تدرك نصيباً من قيمته
فلا شك أنك ستنال نصيباً من مجده .
لا . إن ما أثار قلبى من الأعماق ،
ولا يزال يملأ نفسى كلها ،
هى أشباح ذلك العالم المهول ،
التي تلتف حول رجل عظيم بالغ الذكاء
يرسم لها المسار كأنه نصف إله .
لقد استمعت فى لهفة واستمتاع
إلى الكلمات الرصينة تخرج من فم الرجل الحكيم ،
ولكن آه ! لقد كنت كلما أمعنت فى الانتباه
أسقط شيئاً فشيئاً فى نظر نفسى ،
حتى خشيت أن أتلاشى كالصدى على الصخور ،
وأن أضيع كالرنين أو كالعدم وأفقد ذاتى .
الأميرة : و كنت قبل ذلك بقليل تحس إحساساً صافياً
بأن البطل والشاعر متلازمان ،
وأن البطل والشاعر يبحث أحدهما عن الآخر
ومن المستحيل أن يحسد أحدهما صاحبه .
حقاً إن الفعل الذى تحتفل به الأغنية

شيء رائع وعظيم ، غير أنه لا يقل عن ذلك جمالا
أن تحمل الأغنية للأجيال المقبلة
روعة الأعمال الكبار .

حاول وأنت تعيش في مملكة صغيرة ترعاك
أن تقنع بالنظر إلى العالم المضطرب
نظرة التأمل الذي يتمف على الشاطئ .

تاسو : ألم أفتح عيني هنا لأول مرة في دهشة
لأرى كيف يكافئون الرجل الشجاع مكافأة رائعة ؟
أتيت إلى هنا كصبي غريب
في وقت كانت فيه الاحتفالات والأعياد
تكاد تجعل من « فرارا » مركز الشرف والأعجاد .
يا لذلك المشهد البديع ! حول الميدان المتسع ،
الذي ستدور عليه ألعاب الفروسية الرائعة ،
كانت هناك دائرة يصعب أن تشرق الشمس على
مثلها مرتين .

هنالك أجمل النساء كن يجلسن متراصات
وكان يجلس أفضل الرجال في هذا الزمان .
راحت النظرة المدهوشة تستعرض الجمع النبيل
وهتفت الأصوات : « هؤلاء جميعاً أرسلهم الوطن
إلى هنا ، أرسلتهم الأرض الواحدة ، الضيقة ،

التي تحيط بها البحار .
لأنهم جميعاً يؤلفون أروع محكمة
فصلت في الشرف ، والحق ، والفضيلة .
إن تأملتهم واحداً واحداً لم تجد
من يحتاج أن ينجل من جاره !
ثم فتحت الحواجز ، فدقت أرجل الخيول
ولمعت الخوذات والدروع
واندفع الفرسان ، ودوت الطبول
وتطاير الشرر وصلصلت السهام
حين ارتطمت بالخوذات والدروع
وثارت دوامات الغبار
فغطت مجد المنتصر وعار المهزوم .
آه ! دعيني أسدل ستاراً على هذا المشهد الناصع
حتى لا أشعر في هذه اللحظة الحميلة
بفداحة الإحساس بهواني .

الأميرة : إن كانت تلك الجماعة النبيلة وتلك الأبطال ،
قد أشعلت في نفسك لهيب الطموح والاجتهاد ،
فقد كان في استطاعتي ، يا صديقي الشاب ،
أن أعلمك في ذلك الحين درساً صامتاً في الصبر
والاحتمال .

هذه الأعياد التي تثنى عليها ،
والتي لم تنقطع ماثت الألسنة في ذلك الحين عن
امتداحها لي ،

لم أرها قط . كنت أرقد في مكان منعزل ،
حيث تضيق آخر أصداء الفرح البعيد دون أن يعكرها
شيء ،

أعاني آلام المرض وتضني الأفكار الحزينة .
كان الموت يتمثل أمامي ناشراً جناحيه ،
ويخفي العالم الجديد إلى الأبد عن عيني .
ثم بدأ يبتعد في ببطء ، لأرى ألوان الحياة الزاهية ،
شاحبة لا تزال وإن تكن رقيقة
وكانني أراها من خلال قناع .
رأيت الصور الحية تتحرك ناعمة من جديد .
كنت أغادر غرفة المرض لأول مرة ، مستندة على
وصيفاتي ،

حين أقبات لوكريتسيا في بهجة الشباب
وهي تسحبك من يدك .
كنت في حياتي الجديدة
أول وجه مجهول يلاقيني .
هنالك رجوت الكثير من أجلك ومن أجلى ،

وإلى هذه اللحظة لم يحب الرجاء .

تاسو

: وأنا ، أنا الذى أعيانى الزحام المختلط ،

وأعشى عيني بريق المجد ، واضطربت فى نفسى
الأحاسيس ،

كنت أسير صامتاً إلى جانب شقيقتك فى طرقات
القصر الهادئة ،

حتى دخلت الحجرة التى طلعت علينا فيها ، مستندة
على وصيفاتك —

يا لها من لحظة فى حياتى ! آه فلتغفرى لى

فكما ينعم القرب من الآلهة بالشفاء

على المفتون بالوهم والخيال ،

كذلك شفتنى نظرة فى عينيك

من كل أوهام الخيال وزيف الطموح والاشتهاء .

من قبل كانت أشواقى الغريرة

موزعة بين آلاف الأشياء

فثبت نخجلاً إلى نفسى

وتعلمت أن أحب ما يستحق الحب .

كذلك يبحث الإنسان عبثاً عن لؤلؤة

فى رمال البحر المترامية ، بينما هى مستكنة فى جوف

مخارة .

الأميرة : بدأنا نعيش أياماً سعيدة ،
ولولا أن أمير أورينو حرمننا من شقيقتي
لقضينا السنوات في سعادة حلوة صافية .
وها نحن وا أسفاه نفتقد الكثير ؛
نفتقد الروح المرح ، والقلب الممتلئ بالشباب والحياة ،
والخيال الخصب ، بعد أن ذهبت عنا السيدة الحبيبة .

تاسو : أعرف أن إنساناً لم يستطع
أن يعوضك عن تلك البهجة الصافية
منذ ذلك اليوم الذي رحلت فيه .
كم مزق هذا فؤادي !
كم شكوت للغابة الصامتة ما أقاسيه من أجلك !
كم هتفت صائحاً : هل من حق هذه الأخت وحدها
أن تشغل قلبها الغالي ؟
أما من قلب آخر يستحق أن تثق فيه ؟
أما من روح أخرى تشعر معها بالانسجام ؟
هل انطفأ العقل وخمد الخيال ؟
ومهما يكن حظ هذه السيدة من الكمال ،
فهل كانت هي وحدها كل شيء ؟
غفرانك يا أميرتي ! فقد كنت أحياناً أفكر في نفسي
وأتمنى أن أصبح شيئاً بالنسبة إليك .

شيئاً قليلاً بالطبع ، ولكنه شيء أحققه بالفعل
لا بالكلام

وتبين حياتي كيف وهب لك قلبي نفسه في صمت .
غير أنني لم أنجح في هذا ،

فكثيراً ما دفعني الخطأ إلى ارتكاب ما يؤلمك
وكثيراً ما أهنت الرجل الذي أوليته رعايتك
وأشعت بغبائي التعقيد والاضطراب

فيما أردت له التبسيط والنظام ،
وفي كل لحظة حاولت أن أقرب فيها منك
أحسست بأنني أبتعد عنك وأزداد ابتعاداً ،

الأميرة : أنا ما أسأت فهم نيتك أبداً يا تاسو ،

بل أعلم كيف تسعى إلى إيذاء نفسك بنفسك .
وبينما عرفت أختي كيف تحيا مع الناس وتأخذهم على
علاقتهم ،

فما زلت في حاجة إلى سنين عديدة ، حتى تفتح
قلبك لصديق واحد .

تاسو : عاتبيني كما تشائين . ولكن خبريني

أين هو الرجل ، أين هي المرأة
التي أجرؤ على أن أفتح لها صدري
وأتكلم معها في حرية كما أفعل معك ؟

الأميرة : عليك أن تضع ثقتك في أخي .

تاسو : إنه أميري ! - ولكن لا تظني

أن الرغبة العارمة في الحرية تنسيني نفسي .

إن الإنسان لم يولد ليكون حراً ،

وما من شيء يمكن أن يسعد النبيل

كما يسعده أن يخدم الأمير الذي يحله .

إن ألفونس سيدي ، وأنا أشعر

بكل ما في هذه الكلمة الكبيرة من معنى .

إن علي أن أتعلم كيف أسكت حين يتكلم

وكيف أطيع حين يأمر ،

مهما عارضه عقلي وقلبي .

الأميرة : إن أخي يختلف عن ذلك تماماً .

ولكن ما دام أنطونيو قد رجع إلينا

فستجد فيه الصديق العاقل الذي تطمئن إليه .

تاسو : كنت أطمع في هذا من قبل ، أما الآن فقد كدت أياس .

كم كنت أرجو أن أتعلم من صحبته ،

وأنتفع بمشورته في ألف شيء !

أستطيع أن أقول إن لديه كل ما يتقصني .

ومع ذلك فإن كانت الآلهة كلها قد أقبلت

لتقدم الهدايا إلى مهده

فقد تخلفت ، ويا للأسف ، ربات المحبة ،
ومن أعوزته عطاياها فربما استطاع
أن يملك الكثير ويهب الكثير ،
ولكنه لن يجد أحداً يستريح على صدره (١) .
الأميرة : ولكنه سيجد من يثق فيه ، وليس هذا بالقليل .
أتريد أن تطلب كل شيء من رجل واحد ؟
إن أنطونيو ينجز ما يعدك به .
وما هو إلا أن يعلن صداقته لك
حتى يتولى من شئونك ما أخطأت أو جهلت .
عليكما أن تتحدا . وسوف أغبط نفسي
إذا استطعت أن أحقق هذا الهدف الحميل عما قريب .
ولكن حذار أن تعاند كما تعودت أن تفعل !
ها هي ليونورا تقيم عندنا منذ وقت طويل
وما أرقها وألطفها ، وما أسهل أن يحيا معها الإنسان ،
غير أنك لم تفكر أبداً
في أن تكسب ودها كما كانت تنتظر .
تاسو : أنت أمرت فخضعت لأمرك ،

(١) وصف دقيق لشخصية أنطونيو التي تنزع إلى السيادة والتحكم ،
فتبتعد عن أعماق الحياة ، وتجافىها أرواح الحب والفن والجمال . ومع أن
في هذه الصورة شيئاً غير قليل من الظلم ، فإن أنطونيو لا ينكرها على نفسه .
(راجع المشهد الثاني من الفصل الرابع) .

ولولا هذا لفررت منها بدلا من التقرب إليها .
بالرغم من مظهرها الرقيق فلست أدرى
لماذا كان يصعب على أن أفتح لها صدري ،
وعندما كنت أشعر بأنها تقصد أن تتلطف إلى أصدقائها
فقد كان الشعور بالقصد يعكر على صفوى .

الأميرة : لو سلطنا هذا الطريق يا تاسو

فلن نعثر أبداً على صديق !

إن هذا الدرب يضلنا

ويجعلنا نتوه في الغابات الوحيدة والوديان الساكنة ؛

وشيئاً فشيئاً يرضى الوجدان عن نفسه

ويحاول عبثاً أن يخلق في داخله

ذلك العهد الذهبي (١) الذى لم يجده فى الخارج .

تاسو : أى كلمة تنطق بها أميرتى !

أين إذن هرب هذا العهد الذهبى

الذى تتلهف عليه القلوب بغير طائل ؟

عندما كان الناس يتشرون على الأرض الحرة (٢)

(١) العهد الذهبى فكرة قديمة تشير الى العصر السعيد الذى مضى ولن يعود . ولكن جوته يغير هنا من معناها القديم حين يشير بها الى عصر يمكن أن يتحقق فى المستقبل ، كما تدل على ذلك كلمات الأميرة فيما بعد .

(٢) يلاحظ النقاد فى الأبيات التالية بعض الصور والأفكار المستمدة من قصيدة تاسو « أمينتا » ومن الراعى المخلص » للشاعر جواريتى المنسافس لتاسو .

كالقطعان السعيدة الراضية ؛
عندما كانت الشجرة العريقة المزهرة
تمد ظلالها للراعى والراعية ؛
وعندما كانت الأيكة الناضرة تلف غصونها الميادة
لتضم الحبيين الملهوفين ؛
والنهر الرقيق ينسكب فى هدوء وصفاء
على الرمل النقى ويعانق حورية الماء ؛
والحياة المذعورة تنزه فى العشب دون أن تؤذى أحداً
والحيوان الجسور يلوذ بالفرار
بعد أن نال العقاب من فتى شجاع ؛
وكل طائر يخفق حراً فى الهواء
وكل حيوان يهيم فى الجبال والوديان
يكلم الإنسان فيقول : كل ما يرضيك فهو مباح !
الأميرة : انقضى العهد الذهبى يا صديقى ،
وليس غير الأخيار من يحيه من جديد .
هل أصارحك بما يدور فى خاطرى ؟
أحسب أن هذا العهد الذهبى الذى يتغنى به الشعراء ،
هذا العهد الحميل لم يعرفه الناس قديماً
إلا كما نعرفه نحن اليوم ؛
وحتى لو كان قد وجد فى يوم من الأيام

ففى وسع كل منا أن يعثر عليه من جديد .
ما برحت القلوب المتحابة تتلاقى ،
وما برحت تستمتع بهذا العالم الجميل ؛
ولنما تتغير يا صديق فى الشعار
كلمة واحدة : كل ما يليق فهو مباح !

تاسو : ليت أن محكمة عامة تجتمع
من الطيبين والنبلاء

كى تقرر ما يليق وما لا يليق !
بدلا من أن يعتقد كل إنسان
أن ما يصح ويجوز هو ما يعود عليه بالمنفعة .
إننا نرى كيف أن الجبار والداهية
لا يضره شيء ويستبيح لنفسه كل شيء .

الأميرة : إن أردت أن تعلم ما يليق
فعليك أن تسأل النساء النبيلات
ذلك لأن أكثر ما يهمهن
أن لا يحدث فى الحياة إلا ما يليق .
إن الذوق يحيط كالسور
بهذا الجنس الحساس الرقيق .
حيث تحكم الفضيلة يحكم ،
وحيث تغلب الوقاحة لا تعثر لهن على أثر .

فان سألت الحسنين وجدت
أن الرجل يسعى إلى الحرية
والمرأة تسعى إلى الفضيلة .

تاسو : هل ترين أننا غلاظ شرسون ،
مجردون من كل عاطفة ؟

الأميرة : لا ! ولكنكم تطمحون دائماً إلى الأغراض البعيدة
وطموحكم لا يخلو أبداً من العنف .
إنكم تخاطرون حين تعملون من أجل الخلود
بينما لا نطمع نحن من خيرات هذه الأرض
إلا في شيء متواضع قريب ، نتمنى ألا يزول .
نحن لا نضمن قلب أحد من الرجال
مهما بلغ صدقه في يوم من الأيام .
الجمال الذي يبدو أنكم لا تجلون سواه يفنى ويزول
ما يبقى منه لا يجذب أحداً ، وما لا يجذب فلا أثر
فيه للحياة .

لو أن الرجال عرفوا كيف يقدر قلب المرأة ،
لو تبينوا أي كثر نقي من الحب والوفاء
يمكن أن يضمه صدر امرأة
لو أن ذكرى الساعات الحميلة النادرة
بقيت حية في نفوسكم ،

لو أن نظرتكم النفاذة بطبعها
استطاعت كذلك أن تنفذ خلال القناع
الذى تلقيه الشيخوخة أو المرض علينا
لو أن التملك ، الذى كان ينبغى أن يكون مصدراً
للسلام ،

لم يوقظ فيكم التعطش إلى المجهول البعيد :
إذن لأشرق علينا يوم جميل
ولاحتفلنا بعصرنا الذهبى .

تاسو : كلماتك أيقظت فجأة

هموماً كادت تهجع فى قلبى .

الأميرة : ماذا تقصد يا تاسو ؟ تكلم معى بحرية .

تاسو : سمعت أكثر من مرة ، وأسمع فى هذه الأيام

— ولولم أسمع عن ذلك شيئاً ، لوجب على أن أتصوره —

أن بعض الأمراء النبلاء يسعون إلى طلب يدك !

هذا الذى كان ينبغى أن نتوقعه

أصبحنا الآن نخشاه حتى يكاد اليأس يصيبنا .

سوف تتركينا ، هذه مشيئة الطبيعة ،

لكننى لا أدرى كيف سنحتمل هذا الفراق .

الأميرة : لا تحمل الآن هما !

بل أكاد أقول : لا تحمل أبداً أى هم !
إننى أحب الحياة هنا ، وأحب أن أبقى فى هذا المكان .
لست أعرف إلى الآن أن هناك صلة يمكن أن تغرينى .
وإذا كنتم تريدون أن تستبقونى معكم
فأثبتوا لى ذلك بالتآلف بينكم
وتعلموا أن تسعدوا أنفسكم لكى أسعد بكم .

تاسو : آه ، علمينى أن أفعل ما أستطيع !

إن أيامى كلها ملك يديك .
حين يزدهر قلبى بشنائك وشكرك
أحس بأصنى سعادة يمكن أن يحسها بشر .
حقيقة الألوهية السامية لم أعرفها إلا فيك .
كذلك تتميز آلهة هذه الأرض عن بقية البشر ،
كما يتميز القدر الأعلى عن مشورة أحكم الناس
وإرادتهم .
إنهم يتركون أشياء كثيرة ، هى فى حسابنا أمواج
عالية صاخبة ،
تمر كالموجات الخفيفة تحت أقدامهم بغير أن يلحظوها ،
إنهم لا يسمعون العاصفة التى تدوى حول رؤسنا
وتدحرنا ،
لا يكادون يحسون شكوانا ويتركوننا

نحن الأطفال الضعفاء المساكين

نملاً الهواء بالتنهد والصياح .

أنت قد تحملتني كثيراً ، يا أيتها الصديقة الالهية ،

وكالشمس جففت نظرتك الندى من أجفاني .

الأميرة : تنصف النساء إذ تعاملك معاملة رقيقة :

فأغانيك ترنم بالمرأة بمختلف الألحان .

وسواء كن رقيقات أو جريثات ،

فقد استطعت دائماً أن تصورهن

في صورة محبوبة ونبيلة .

وإذا كانت «أرميد» تبدو في أول الأمر كريهة (١)

فسرعان ما نسلم السلاح أمام فتنتها وحبها .

تاسو : مهما تنوعت الأنغام في قصائدي

فأنا أدين بها جميعاً لواحدة ، لامرأة واحدة !

ليست صورة مثالية غامضة ، تلك التي تطوف أمام

عيني ،

وتقترب مرة لتبهر روعي بضياءها وتختفي مرة أخرى

(١) في هذا الموضع والمواضع التالية اشارات عديدة الى شخصيات

وأحداث ترد في ملحمة تاسو « اورشليم المحررة » . وهنا اشارة الى حب

الساحرة أرميد لرينالدو . فهي تشعر أنه يمتحنها فتحاول أن تقتل نفسها

ولكن رينالدو يمنعها من ذلك ويتصالحان .

لقد رأيتها بعيني ، نموذج كل فضيلة ومثال كل جمال ؛

كل ما أبدعته على صورتها سوف يبقى :

حب تانكريد البطولي لكلورند (١) ،

وفاء أرمينيا الهاديء الذي لا يلفت أحداً (٢) ،

عظمة سوفرونيا وتعاسة أولنده (٣) ؛

ليست هذه أشباحاً ولدها الخيال ،

فأنا أعلم أنها خالدة ، لأنها كائنة .

وهل يحق لشيء أن يعبر القرون

ويواصل النمو والإشعاع في سكون

كما يحق لسر حب نبيل

لم يثق إلا في أغنية عذبة ؟

الأميرة : هل أحدثك أيضاً عن فضيلة أخرى

تجعل هذه الأغنية تتسلل إلى قلوبنا ؟

إنها تسحرنا وتغويننا ، فنسمع ونسمع ،

ونظن أننا فهمناها

(١) يتبارز تانكريد وكلورنده بغير أن يعرف أحدهما الآخر ، ولا يكتشف

تانكريد حبيبته إلا بعد أن يجرحها جرحاً مميتاً .

(٢) إشارة إلى رغبة أرمينيا في شفاء تانكريد بطريقة خارقة .

(٣) وإلى رغبة سوفرونيا في التضحية بنفسها في سبيل المسيحيين ، مما

يعذب أولنده .

وما فهمناه منها لا نملك أن نعيه ،
وهكذا تغزو هذه الأغنية أفئدتنا .
تاسو : أى سماء ، يا أميرتى ، تفتحين أبوابها لى !

إن لم يعمنى هذا البريق
فسوف أرى ، أنا الذى يثست من كل شىء ،
سعادة خالدة تهبط إلى على أشعة ذهبية .

الأميرة : لا تتماد يا تاسو ! هناك أشياء كثيرة
ينبغى علينا أن نتشبث بها بعنف ،
غير أن هناك أشياء أخرى يمكن بالاعتدال
وبالحرمان أن تصبح ملك أيدينا .
هكذا يريد الحب ، كما يقولون ، وتريد الفضيلة
التي هى شقيقته . فتذكر ذلك جيداً !

المشهد الثانى

ناسو : (وحده) : أمن حقلك أن تفتح عينيك ؟
أتجرو أن تتلفت حولك ؟
أنت هنا وحدك !
هل سمعت هذه الأعمدة ما قالته ؟
وهؤلاء الشهود ، هؤلاء الشهود الحرس ،
على سعادتك الرائعة ، هل تشك فيهم ؟
ها هى الشمس تشرق على يوم جديد فى حياتى
لا يمكن أن تقاس به الأيام الخالية .
الإلهة تهبط إلى الأرض وترفع البشر الفانى إليها .
يا للأفق الحديد الذى يفتح لعينى ، يا للمملكة
الحديدية !
وأى مكافأة حلوة يجزى بها الشوق الحار !
كنت أحلم بأننى أقرب من السعادة السامية
فإذا بهذه السعادة تفوق كل الأحلام !
نفكر من ولد أعمى فى النور وفى الألوان كما يشاء
حتى إذا تجلى له النهار الحديد ولد له فكر جديد !

ها أنذا أسير على هذا الدرب ، مفعما بمشاعر الأمل
والرجاء ،

نشوان أتمايل من الفرحة .
أنت تمنحينني الكثير ، كما تمنحنا الأرض والسماء
فتفيض علينا بكفين غنيتين ،
وكل ما تطلبينه الآن مني
حق تقتضيه عطايك .

على أن أتعلم الحرمان وأظهر الاعتدال
لكي أستحق أن تشق بي .

ماذا فعلت إذن حتى تختارني ؟
ماذا على أن أفعل حتى أكون بها جديراً ؟
لقد وثقت بك ، وبذلك جعلتك محلاً للثقة .
أجل يا أميرتي ! فلاهب روحي إلى الأبد
لأجل كلماتك ونظراتك !
أجل ! اطلبي ما تبشئين ، فأنا ملك يديك .
لترسلني إلى البلاد البعيدة بحثاً عن المجد والمتاعب
والأخطار ،

ولتد إلى يدها في الغابة الساكنة بالقيثارة الذهبية ،
ولأنشد من أجملها أناشيد الراحة الهنيئة .
أنا ملكها ، فلتخلقني من جديد لأكون لها .

قلبي أحتفظ بكنوزه من أجلها .
لو أن ربا وهبني أن أتكلم بألف صوت
ما استطعت أن أعبر عن تقديسي لها .
لو أن لي فرشاة الرسام وشفة الشاعر ،
أحلى ما ذاق عسل الصيف من شفاه !
لا ، لن يهيم تاسو بعد الآن
وحيداً بين الأشجار وبين الناس
ضائعاً وضعيفاً ومحزوناً !
لم يعد وحيداً ، إنه الآن معك .
آه لو أن أنبل الأعمال تمثل الآن أمامي
محاطاً بأبشع الأخطار !
إذن لأقدمت وخاطرت بهذه الحياة
التي تلقيتها من يديك —
ولدعوت أفضل الناس أن يكونوا من أصحابي
ولسرنا في موكب نبيل كي نحقق المستحيل
بإشارة صغيرة من يديها .
أيها الملهوف ، لم لم تتكلم شفتاك ما أحسست به
حتى تجد نفسك جديراً بالسجود عند قدميها ؟
كانت تلك هي نيتك ، وكانت هي رغبتك الحكيمة ،
ومع ذلك فليكن ما يكون ! فأجمل بكثير

أن تتلقى هذه الهدية الصافية التي لم تستحقها
على أن تتوهم أنها كانت من حقك !
كن سعيداً ! فما أروع الأفق الذي يمتد أمامك ؟
وما أعظمه ! وما هو الشباب المفعم بالآمال
يغريك بالمستقبل المضيء المجهول .
ترنم يا قلبي ! ويا سماء الحظ
باركي هذه النبتة التي تشرئب إليك !
إنها تتطلع إلى السماء ، آلاف الأفرع
تبزغ منها وتفتح زهرات .
آه فلتعطنا الثمار ، ولتعطنا الأفراح !
حتى تمتد يد حبيبة فتقطف الحلية الذهبية
من أغصانها الحصبة الناضرة !

المشهد الثالث

(تاسو — أنطونيو)

تاسو : مرحباً بك ، يا من أراه اليوم لأول مرة !
ومن لم أكن أتوقع أفضل منه . مرحباً بك !
أنا الآن أعرفك وأعرف قدرك ،
وبغير ما تردد أقدم لك قاي ويدي ،
وأطمع بدوري ألا تستصغر شأني .

أنطونيو : أنت تحبوني بهداياك الحميلة
التي أعرف قدرها كما ينبغي ،
ولكن دعني أتردد قبل أن أمد إليها يدي ،
فلست أدري إن كنت أستطيع أن أرد عليك بمثلها .
لست أحب أن أبدو متعجلاً أو جاحداً ،
فاسمح لي أن أكون حكيماً وحريصاً من أجلنا معا .

تاسو : من ذا الذي يلوم هذه الحكمة ؟
إن كل خطوة في الحياة تقنعنا بضرورتها .
ولكن الأجمل من ذلك أن تحدثنا النفس

بأن في استطاعتنا أن نستغنى عن الحرص .

أنطونيو : ليرجع كل إنسان في هذا إلى إحساسه
لأن عليه أن يتحمل بنفسه وزر خطئه .

تاسو : ليكن الأمر كذلك . لقد قمت بواجبي ،
واحترمت كلمة الأميرة التي تريد أن نكون أصدقاء
وسعيت بنفسى إليك .

لم يكن في وسعى أن أراجع يا أنطونيو ،
ولكننى لا أنوى أن أفرض نفسى عليك :
ليبق الأمر على ما هو عليه . فربما جاء اليوم
الذى نزداد فيه ألفة فتحتنى بهديتى
التي ترفضها الآن في برود وتكاد تحتقرها .

أنطونيو : كثيراً ما يبدو الرجل المعتدل بارداً
بالنسبة لمن يعتقدون أنهم أدفاً من غيرهم إحساساً ،
لأن حرارة الحمى قد تمكنت منهم .

تاسو : أنت تلوم ما ألومه وأتخاشاه .
وأنا ، وإن كنت لا أزال شاباً ،
أعلم تمام العلم أن الاتزان خير من الاندفاع .

أنطونيو : تلك هى الحكمة بعينها ! فلتبق دائماً على هذا الرأى .
تاسو : من حقلك أن تسدى إلى النصيح وتحذرني

لأن التجربة تقف إلى جانبك كالصديقة الوفية .

ولكن صدقني : أن هناك قلباً هادئاً

ينصت إلى الدرس الذي يلقيه كل يوم وكل ساعة
عليه ،

ويجتهد في الخفاء أن يصل إلى ذلك الخير

الذي تعتقد بقسوتك أنك تستطيع أن تعلمنا فيه
درساً جديداً .

أنطونيو : من الممتع حقاً أن يشغل الإنسان بنفسه
إذا كان في ذلك بعض الفائدة .

إن الإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة نفسه بالتأمل
في نفسه ؛ ذلك لأنه يحتكم إلى مقياسه وحده

فيستصغر نفسه أو يضخمها للأسف في أغلب الأحيان .

إن الإنسان لا يعرف نفسه إلا من خلال الإنسان ،
والحياة وحدها هي التي تعرف كل امرئ بحقيقته .

تاسو : إنني أسمعك في احترام وأرحب بكل ما تقول .

أنطونيو : ومع ذلك فربما فهمت من هذه الكلمات
شيئاً يختلف عما أريده كل الاختلاف .

تاسو : إذا سرنا على هذا الطريق فلن نقرب من بعضنا البعض .

ليس من الحكمة ولا من الخير أن نتعمد إساءة الظن
بإنسان أيا كان .

إن دعوة الأميرة لم يكن لها داع . فقد عرفت من
زمن بعيد

أى إنسان أنت . أعلم أنك تريد الخير وتفعله .
إن قدرك لا يهتك . ولهذا تفكر فى غيرك وتقف إلى
جانبه ،

ويظل قلبك ثابتاً على أمواج الحياة المتقلبة ..
هكذا أراك . وماذا يكون شأنى إن لم أسع إليك ؟
ألم أتلهف على نصيب من الكثر الذى تضمن به ؟
أعلم أنك لن تندم إذا فتحت لى صدرك ،
وأعلم أنك ستصادقنى إذا عرفتنى على حقيقى :
وقد كنت من زمن طويل فى حاجة إلى مثل هذا
الصديق .

إننى لا أخجل من قلة تجربتى ولا من شبانى .
لم تزل سحابة المستقبل الذهبية ترف حول جبهتى .
آه فلتأخذنى ، يا أيها النبيل ، على صدرك
ولتعلمنى ، وأنا الطائش الجاهل ،
سر الاعتدال فى الحياة .

أنطونيو : إنك تطلب في لحظة واحدة
ما لا يكفله الزمن إلا بالحكمة والروية .

تاسو : إن الحب يكفل في لحظة واحدة
ما لا يدركه الجهد في زمن طويل .
لست أرجوك وإنما أطالبك .
إنني أدعوك باسم الفضيلة
التي تجاهد في الربط بين القلوب النبيلة .
وهل أسمى لك اسما ؟

إن الأميرة هي التي تأمل هذا ، هي التي تريده .
اليونورا هي التي تريد أن تقربني منك ، وتقربك مني .
فلا تجعلنا نرفض رغبتها !
دعنا نتقدم إلى الربة متحدين ،
لنهبها صلاتنا ونمنحها روحنا
ولنحقق معا ما يليق بها .
مرة أخرى . هذه يدي ! فصافحها !
لا تراجع أيها النبيل ولا تتأني .
ولتتح لي أجمل متعة يتذوقها الفضلاء
الذين يهبون أنفسهم للأفضل في ثقة وبغير تحفظ .

أنطونيو : أراك تبهر بملء شراعك !
فقد تعودت فيما يبدو على أن تنتصر في كل معركة ،

وأن تجد الطرق ممهدة أمامك والأبواب مفتوحة .
لأنى أَرْضِي لك بالفضل والسعادة عن طيب خاطر .
غير أننى أرى بوضوح أن كلينا ما زال بعيداً كل
البعد عن صاحبه .

تاسو : ربما فرقت بيننا السنون والتجارب
أما الشجاعة والإرادة الطيبة
فلسبت أقل فيهما عن أحد .

أنطونيو : الإرادة لا تكفى للإتيان بجلائل الأعمال ،
والشجاعة تتصور الطرق أقصر من حقيقتها .
من يصل إلى الهدف يوضع التاج على رأسه ،
وكثيراً ما يحرم منه من هو أولى به .

إن التيجان اليسيرة موجودة ، ومتعددة الأنواع :
وكثيراً ما ينالها من يتتره بغير مجهود .

تاسو : إن ما تمنحه يد الرب لهذا أو تمنعه باختيارها عن ذاك
ليس شيئاً يمكن أن يدركه كل من أحب أو شاء .

أنطونيو : أرجع هذا إلى الحظ دون غيره من الأسباب ،
بذلك أوافقك لأنه أعمى عن الاختيار .

تاسو : العدالة أيضاً معصوبة العينين ،
تغبض البصر عن كل بريق خداع .

أنطونيو : هل يمجّد الحظ إلا المحظوظ ؟ !

إنه يجعل له ألف عين ترى فضله

ويمتدح اختياره الصائب وعنايته الشديدة

وسواء سماه «ميرفا» أو ما شاء من أسماء

فهو يعد المنحة مكافأة ،

والحلية التي خلعتها عليه الصدفة

زينة نالها عن جدارة واستحقاق .

قاسو : لست في حاجة إلى أن تكون أوضح من هذا .

كفى ! إنني أنظر في أعماق قلبك وأعرفك مدى الحياة .

آه لو أن أميرتي أيضاً عرفتك على حقيقتك !

لا تبذر في سهام عينيك ولسانك !

لقد حاولت عبثاً أن توجهها إلى هذا التاج ،

هذا التاج الذي لن يذبل على جبينى .

كن كبير القلب ولا تحسدنى عليه

فقد تستطيع عندئذ أن تنازعنى إياه .

إنه عندى أقدم وأسمى ما أملك .

أرنى مع ذلك الرجل الذى نال ما أطمح إليه ،

أرنى البطل الذى لم أسمع عنه إلا من حكايات

التاريخ ؛

دلى على الشاعر الذى يستطيع أن يقرن نفسه

• بهوميروس أو فرجيل ،
لا بل إنني لأطلب منك أن تدلني

على رجل استحق هذه الهدية ثلاث مرات ،
وأخجله هذا التاج أكثر مما أخجلني ثلاث مرات :

إن فعلت هذا فستراني أر كع على قدمي
أمام الربة التي أسبغت على هذه النعمة ؛
ولن أنهض عندئذ قبل أن تمد يديها
وتخلع هذه الزينة من على جبيني لتضعها على جبينه .

أنطونيو : إلى أن يتم ذلك فسوف تظل بالطبع جديرا بها .

تاسو : لأوضح موضع الاختبار ، فلست أعترض على هذا ،
أما الاحتقار فلم أفعل ما يجعلني أستحقه .

إن التاج الذي كرمني به أميرى
وضفرته أميرتى بيديها

لا يستطيع أحد أن ينكره على أو يسخر به .

أنطونيو : هذه اللهجة المتعالية ، وهذا الغضب الملتهب

لا يصح أن توجههما إلى ، ولا يليقان بك في هذا
المكان .

تاسو : إن ما تسمح به هنا لنفسك ، يليق أيضاً بي

هل نفيت الحقيقة من هذا المكان ؟

هل سجنّت الروح الحرة في هذا القصر ؟
وهل يتحتم على النفس النبيلة أن تتحمل الاضطهاد ؟
أعتقد أن النبل وسمو الروح هنا في مكانهما الصحيح .
أحرام عليها أن تسعد بالقرب من عظماء هذه الأرض ؟
بل إن في استطاعتها ومن واجبها أن تفعل .
إننا لا نقرب من الأمير

إلا بالنبالة التي ورثناها عن الآباء ؛
فلماذا لا نقرب منه بالوجدان العظيم
الذي لم تشأ الطبيعة أن تعطيه لكل إنسان
كلم لم تشأ أن تمنح الجميع سلسلة من الأسلاف
العظام ؟

لا يشعر بالرعب هنا إلا الصغار ،
وإلا الحسد الذي يكشف عن عاره ؛
كذلك لا يصح لنسيج عنكبوت قذر
أن يعلق بهذه الجدران المرمرية .

أنطونيو : أنت تعطيني بنفسك الحق في امتهانك !
أريد الصبي المتهور أن يغتصب ثقة الرجل و صداقته ؟
أتظن نفسك خيرا وأنت عديم الأخلاق ؟

تاسو : خير لي أن أوصف بما تسميه عدم الأخلاق .
لي : من أن أوصف بما يمكن أن أسميه بالانحطاط .
أنطونيو : ما زلت صغيراً إلى الحد الذي تستطيع معه التربية
الصحيحة ، أن تعلمك السير على طريق أفضل .
تاسو : لست صغيراً إلى حد أن أركع أمام الأصنام ،
بل كبير إلى الحد الذي يجعلني أواجه التحدي
بالتحدي .
أنطونيو : حينما تكون الكلمة للشفاه والأوتار
فأنت البطل والمتبصر بلا جدال .
تاسو : ربما كان من الجراءة أن أفتخر بيميني
فهي لم تفعل شيئاً ، ومع ذلك فإنني أعتمد عليها .
أنطونيو : إنما تعتمد على التسامح الذي دلك كثيراً
في حين تابع حفظك طريقه الوقح .
تاسو : الآن أشعر أنني تجاوزت الطفولة .
كنت آخر من يمكن أن أجرب معه لعبة السلاح :
لتكنك تزيد النار اشتعالاً ، النخاع يغلي ،
والشهوة الأثيمة إلى الانتقام تفور في صدري .
إن كانت لديك الرجولة التي تتباهى بها فهي إلى
الترال •

أنطونيو : أنت تجهل من أنت كما تجهل مكانك .

تاسو : مامن قداسة تدعوننا إلى احتمال الهوان .

أنت الذى تكفر وتدنس هذا المكان ،
لا أنا الذى جئت أقدم لك أجمل قربان
من الثقة والمحبة والتكريم

إن روحك هى التى تلوث هذا الفردوس
وكلماتك تلوث هذه القاعة النقية

لا الإحساس الذى يثور فى قلبى ويفور .
ويأبى أن يلطخه أدنى عار .

أنطونيو : أى روح عظيم فى قلب ضيق !

تاسو : لا يزال فيه متسع للتنفيس عن الصدر .

أنطونيو : العامة تنفس أيضاً عن غضبها بالكلام .

تاسو : إن كنت نبيلاً مثلى فأثبت ذلك .

أنطونيو : إننى كذلك بالفعل ، ولكنى أعرف مكانى .

تاسو : تعال معى إذن إلى حيث يحكم السلاح .

أنطونيو : كما لم يكن لك أن تطلبنى للنزال ، فكذلك لن أتبعك .

تاسو : بمثل هذه العقبة يرحب الحين .

أنطونيو : الحبان لا يتوعد إلا حين يشعر بالأمان .

تاسو : يمكننى أن أزهد فى هذه الحماية عن طيب خاطر .

أنطونيو : إغفر إن شئت ما أذنبته في حق نفسك ،
ولكن لا تغفر ما أذنبت به في حق هذا المكان .
تاسو : فليغفر لي المكان أننى احتملت هذا .

(يجرد سيفه)

جرد سلاحك أو اتبعنى .

إلا إذا كنت تريد ،

أن أحتقرك إلى الأبد كما أكرهك !

المشهد الرابع

(ألفونس — السابقون)

ألفونس : ماذا أرى ؟ أى نزاع لم أكن أتوقعه ؟

أنطونيو : أنت ترانى ، يا أمير ، أقف فى اتزان
أمام إنسان تملكه الغضب .

تاسو : أتوسل إليك كما أتوسل لإله

أن تمسك زمامى بنظرة واحدة منك .

ألفونس : قل لى يا أنطونيو ، وأنت يا تاسو ،

كيف نفذ الشقاق إلى بيتى ؟

كيف استولى عليكما ، كيف استطاع

أن ينتزع حكيمين مثلكما

عن سبيل الشرائع والأخلاق .

إننى فى عجب من الأمر .

تاسو : أعتقد أنك لا تعرفنا حق المعرفة .

هذا الرجل ، المشهور بالحكمة والخلق الطيب ،

عاملنى معاملة فظة لثيمة
كما يفعل مخلوق لاحظ له من الأدب أو النبيل .
سعيت إليه راجيا فصدنى ،
لم أياس فظللت أتقرب منه
لكنه احتدّ فى مرارة فلم يسترح
حتى أحال أصنى قطرة فى دمنى إلى علقم .
معذرة ! لقد وجدتنى أجن من الغضب .
ولكن إذا كنت قد أخطأت فهذا هو المستول .
لقد أشعل نار الغضب التى استولت على وجرحتنى
وجرحته .

أنطونيو : إن حماس الشعراء قد ذهب به بعيداً !
لقد بدأت ، يا أمير ، بتوجيه السؤال إلى ،
فا أذن لى الآن ، بعد هذا الحديث المندفع ، بالكلام .

تاسو : أجل ، إرو ما حدث ، إروه كلمة كلمة !
وحاول إن استطعت أن تصف
كل مقطع وكل إشارة أمام هذا القاضى !
أهن نفسك مرة أخرى ، واشهد على نفسك !
أما أنا فلن أنكر نفسا ولا نبضة قلب .

أنطونيو : إن كان لديك ما تقوله فتكلم ،
وإلا فاسكت ولا تقاطعنى .

إن كنت أنا ، يا أميرى ، الذى بدأت النزاع
أو كان هذا الرأس المندفع هو الذى بدأ به ،
ومن منا الذى يتحمل الخطأ ،
فتلك أسئلة طويلة لا ضرورة الآن للإجابة عليها .

تاسو : كيف هذا ؟! إن السؤال الأول فى رأيي
هو من المخطيء فينا ومن المصيب ؟

أنطونيو : ليس هذا صحيحا ، كما قد يخيّل لعقل أفلت منه
الزمام .

ألفونس : أنطونيو !

أنطونيو : مولاي ! إننى أخضع لإشارتك ، ولكن مره أن يلزم
الصمت .

فإذا فرغت من كلامي أمكنه أن يستطرد الحديث ،
وسوف تقرر الأمر بنفسك .

هذا هو ما أريد أن أقول :

إننى لا أستطيع أن أجادله

كما لا أستطيع أن أتهمه أو أدافع عن نفسي

ولا أن أحاول الآن أن أسترضيه .

ذلك لأنه الآن لم يعد إنسانا حراً .

إن قانونا ثقیل العبء یرزح فوق رأسه .
 ولن یخفف منه سوى عفوك ورحمتك .
 لقد هددنی فی هذا المكان ، وطلب منی التزال ؛
 ولم یكد یخفی أمامك السیف العاری .
 ولو لم تتدخل بیننا یا مولای
 لرأیتی أقف الآن خجلا أمامك
 وقد نسیت واجبی وشاركته فی إثمه .
 ألفونس : (لتاسو) : لم تحسن التصرف .
 تاسو : إن قلبی یرثی یا مولای
 ولا شك أيضاً أن قلبك یرثی .
 لقد هددت حقاً ، وطلبت التزال ، وجردت سینی .
 ولكنك لن تتصور كيف راح لسانه اللئیم
 ینتی الكلمات الجارحة ،
 ولا كيف راح نابه السریع الحاد
 یسكب السم الرهیف فی دمی
 ولا كيف مضى یشعل نار الحمی ویزیدها اشتعالا
 لقد ظل یثیرنی فی هدوء وبرود ویخرجنی عن طوری :
 آه ! إنك لا تعرفه ! لا تعرفه ولن تعرفه أبدا !
 حملت إلیه من القلب أجمل صداقة

فألقى عطايای عند قدمیه ؛
ولو لم تشتعل نفسی غضبا
لما كانت أبدا جدیره بنعمتك
ولا استحققت أن تكون فی خدمتك .

إن كنت نسيت القانون
وحرمة هذا المكان فاغفر لی .
لا یصح أن أحتقر فی أى مكان ،
ولا یصح فی أى مكان أن أحتمل الهوان .
وإذا حدث لهذا القلب ، أينما كان ،
أن یقصر فی حقك وفى حق نفسه
فعاقبني واطردنی

ولا تجعل عينك تقع مرة أخرى على وجهی .

أنطونیو : ما أخف ما یحمل الشاب الأعباء الثقالة

وما أيسر أن ینفض الأخطاء عن ثوبه كما ینفض الغبار !
لو كنا نعرف سحر الشعر الذى یهوى العبت مع
المستحيل

أقل مما نعرفه ، لكان فی هذا ما یبعث على العجب .
ولا أكاد أصدق یا أمیری
أنك ستستهين بهذا الفعل
أو یستهين به أحد من خدمك .

إن الحلالة تظل بحمايتها
كل من يدنو منها ومن مسكنها الحرام
كما يدنو من إله .
وكل عاطفة تكبح جماحها
حين تلامس عتبتها
كانها تقرب من مذبح مقدس .
هناك لا يلمع سيف ، ولا يتوعد صوت
ولا تصرخ الإهانة نفسها مطالبة بالثار .
أما وراء ذلك في الميدان متسع
للغضب والحقد والصراع :
هناك لا يهدد الجبان ، ولا يهرب الشجاع .
هذه الأسوار قد أقامها آباؤك
على قاعدة من الطمأنينة والأمان ،
وشادوا لعزتهم قدسا حصينا
وحافظوا في جد وذكاء
بالخزاء الرادع على هذا السلام ،
وأخذوا المذنب بالنفي والطرده والموت .
لم يكن هناك اعتبار للأشخاص
ولم توقف الرأفة ذراع العدالة
وأحس المستهتر نفسه بالفرع .

وها نحن بعد السلام الجميل الممدود
نرى الغضب المحنون يعود إلى حمى الأخلاق
إحسم يا مولاي وعاقب !
ألا يستحق من يلتزم بحدود الواجب
أن يتمتع بحماية القانون ونصرة الأمير ؟

ألفونس : إن ضميري المحايد ليستمع
إلى أكثر مما تقولان أو يمكنكما أن تقولاه .
ليتكما أحسنما أداء الواجب
ولم تلجئاني إلى النطق بهذا الحكم .
ذلك لأن العدل والظلم هنا متقاربان .
إذا كان أنطونيو قد أساء إليك
فإن من واجبه بطريقة أو بأخرى
أن يقدم لك التعويض الذي تشاء .
وسوف يسرني أن تجعلاني حكما بينكما .
إن خطأك يا تاسو يجعل منك سجيناً .
إنني أعفوعنك ، وأخفف القانون من أجلك .
اتركنا يا تاسو ، والزم حجرتك
واجعل من نفسك حارساً على نفسك .
تاسو : أهذا هو الحكم الذي تقضي به يا أمير ؟
أنطونيو : ألا تتبين فيه رافة الأب الحنون ؟

تاسو : (لأنطونيو) : لم يعد لى من الآن معك حديث .
(لالفونس) : ان كلمتك الصارمة يا أمير
تسلمنى ، وأنا الحر ، للسجن .
لتكن مشيئتك . ما دمت تعتقد أنها الحق .
ها أنا ذا أحترم أمرك المقدس .
وأسكت الصوت الذى يصرخ فى أعماق قلبي .
إن الأمر جديد على ، جديد إلى الحد الذى لا أملك معه
أن أتعرف عليك أو على نفسى أو على هذا المكان
الحميل .
أما هذا الرجل فلانى الآن أعرفه .
سأطيع أمرك ، وإن بقى الكثير
مما أستطيع وما ينبغى على أن أقول .
إن الصمت يخرس شفتى . أكانت جريمة ؟
لأنها على الأقل تبدو كذلك ، لأننى أعد الآن مجرماً .
وسواء ما يقوله لى قلبي ، فأنا الآن سجين .
ألفونس : أنت تهول الأمر يا تاسو أكثر مما يستحق .
تاسو : إن الأمر يبدو لى لغزاً ،
أو لعله ليس لغزاً ، فأنا لم أعد طفلاً .
وأكاد أقول لا بد أن أفهمه .
لأننى ألح نورا على حين فجأة

وفى لحظة أراه قد حمد .
لا أسمع غير الحكم على ، فأنحنى له .
أقول لنفسي : لقد تكلمت كثيراً بغير طائل .
فتعود من الآن أن تخضع .
أيها العاجز ! لقد نسيت مكانك
وظننت أن قاعة الآلهة على الأرض ،
وها هي السقطة المباغثة تفجؤك .
إرض بالخضوع ، فخلق بالرجل
أن يفعل ما يكرهه عن طيب خاطر .
خذ أولاً هذا السيف الذى أعطيته لى
عندما تبعت الكاردينال إلى فرنسا ،
لقد حملته فلم أكسب به مجدا ،
ولم أجز يوما على نفسى العار .
ولا فعلت ذلك اليوم .
هذه الهدية التى علقت عليها الآمال
أتنازل عنها بقلب متأثر كسير .
ألفونس : أنت لا تدري بشعورى نحوك .
تاسو : كتب على أن أطيع لا أن أفكر !
كما أراد القدر للأسف منى
أن أزهد فى هدية أروع .

إن التاج لا يناسب السجين ،
ولذلك أنزع بنفسى الزينة
التي حسبت أنها خلعت على جبهتى إلى الأبد .
لقد نعمت بالسعادة الفائقة فى أول الصبا
غير أنها سرعان ما سلبت منى
وكأننى تبطرت عليها .
إنك تتزع عن نفسك ما لا يستطيع أحد أن يتزعه عنك
وما لايهبه إله للمرة الثانية .
إننا نحن البشر نمتحن امتحانا عجيبا ،
وما كان لنا أن نصبر أو نحتمل
لو لم ترزقنا الطبيعة بالاستخفاف البريء .
تعلمنا الشدة كيف نبدد
فى النعم التى لا تقدر
ونفتح أكفنا بإرادتنا
لتفلى منها النعمة إلى غير رجعة .
مع هذه القبلة أذرف دمعة
تهبك للزوال ! إنها من حقنا ،
هذه العلامة الرقيقة على ضعفنا .
من الذى لا يبكى حين يرى
أن الخلود نفسه لا يأمن الدمار ؟

إلحق الآن بهذا السيف ، الذى لم يكسب من أجلك
شيئاً !

إقرب منه وارقد على قبر سعادتى وأملئ
كما ترقد على تابوت الشجعان !

ها أنا ذا أضعهما طائعا عند قدميك :

فمن ذا الذى يملك سلاحا أمام غضبك ؟

ومن يتزين ، يا مولاي ، إن أنت أهملته ؟

إننى أمضى سجيناً ، وأنتظر حكمك .

(يشير الأمير فيرفع أحد الخدم السيف والإكليل

ويحملهما بعيداً)

المشهد الخامس

(ألفونس — أنطونيو)

أنطونيو : إلى أين يهيم الغلام ؟ بأى الألوان

يرسم قيمته وقدره ؟

إن الشباب ، بجهله وقصوره ،

يتوهم نفسه شيئاً فريداً مختاراً

ويستبيح لنفسه كل شىء عن كل إنسان .

فليشعر بأنه معاقب ، فالعقاب يحسن إلى الفتى

الذى سيشكرنا عليه حين يصبح رجلاً .

ألفونس : لقد لقي عقابه ، وأخشى أن يكون قد زاد عليه العقاب .

أنطونيو : إن شئت أن ترأف به

فأعد إليه حرите يا أمير ،

وليحسم السيف ما بيننا من خلاف .

ألفونس : إن اتفقت الآراء على هذا فليكن لك ما تريد .

ومع ذلك قل لى ، كيف أثرت غضبه ؟

أنطونيو : لا أستطيع تفسير ما حدث .

ربما أسأت إليه كإنسان :
غير أنني ما أهنت فيه الرجل النبيل .
إنه في قمة غضبه لم تفلت من شفتيه كلمة نابية .
ألفونس : هكذا بدا لي ما توقع بينكما من خلاف .
وحديثك يؤيد ما خطر لأول مرة على بالي .
عندما يتنازع رجلان فالعقل يميل
إلى إلقاء الذنب على أكثرهما حكمة .
لم يكن ينبغي عليك أن تشير غضبه ،
بل كان الأولى بك أن ترشده وتهديه .
ما زال في الوقت متسع ،
وليس في الأمر ما يضطركم إلى الخلاف .
وما دام السلام يرفرف على بلادى
فلننى أحب أن أتمتع به في بيتي .
أعد الطمأنينة إليه — إن هذا أمر يسير عليك .
لتبدأ ليونورا سانفيتاله ولتحاول
أن تهدئه بكلماتها الرقيقة .
ولتذهب إليه بعد ذلك كي تعيد
إليه حرите الكاملة على لساني ،
ولتكسب ثقته بالكلام الصادق النبيل .
أنجز هذا الأمر بأسرع ما تستطيع

وايكن حديثك معه حديث الوالد والصديق .
أريد أن أطمئن إلى عودة السلام قبل الرحيل ،
وما من شيء يستحيل عليك ، مادمت تريد .
لنمد إقامتنا ساعة أخرى
وبعد ذلك فلنترك للنساء
أن يتممن في حنان ما بدأت ؛
فإذا رجعنا لم نجد
أثرا لهذا الحادث السريع .
يبدو يا أنطونيو أنك لا تريد
أن تخلى يديك من العمل . فلم تكذ تفرغ من مهمة
حتى رجعت تبحث عن أخرى ،
أرجو أن تكمل فيها بالنجاح .
أنطونيو : لقد أخجلتني وجعلتني كلماتك
أرى خطئي كما لو كنت أنظر في مرآة صافية !
ما أسهل أن يطيع المرء سيدا نبيلًا
يقنعنا حين يلتق علينا أوامره .

الفصل الثالث

المشهد الأول

الأميرة : (وحدها) أين ليونورا ؟ كل لحظة تمر على
تجرك الألم في صميم القواد .
لا أكاد أدري ما حدث ،
لا أكاد أدري من منهما المخطيء .
آه ليتها تجيء ! فلست أحب
أن أتحدث مع شقيقى الفونس
قبل أن يعود إلى نفسى الهدوء
وقبل أن أعرف ما حدث
وما يمكن أن تصير إليه الأمور .

المشهد الثاني

(الأميرة - ليونورا)

الأميرة : ماذا تحملين معك يا ليونورا ؟ أخبريني ،
كيف حال صديقينا ؟ ماذا جرى ؟

ليونورا : لم يصل إلى علمي أكثر مما نعلم .
وقع صدام بينهما ، فجرد تاسو سيفه
وفرق شقيقك بينهما . بيد أنه يبدو
أن تاسو هو الذي بدأ التزاع :
إن أنطونيو يذهب ويحییء حرا
ويتكلم مع أميره : أما تاسو
فهو منفي وحيد في حجرته .

الأميرة : لا بد أن أنطونيو استغفره
وأهان الروح الشاعرة في برود وجفاء .

ليونورا : أنا أيضاً أعتقد هذا . فقد رأيت
سحابة تطوف بجهته حين أقبل عليه .

الأميرة : آه ! لماذا نخفل في مثل هذا الموقف

عن طاعة الإشارة النقية الهادئة التي تأتي من القلب ؟
بصوت هامس يتحدث إله في صدورنا ،
بصوت خافت ، ولكنه مسموع ، يدلنا
على ما نغتنمه وما نتحاشاه .

بدا لي أنطونيو صباح اليوم
أكثر غلظة مما عهدت وأشد انزواء .

أحسست بأن روحى تنذرني
حين رأيت تاسو يقترب منه .
قلت يكفى أن أرى مظهريهما ؛
الوجه والتعبير والنظرة والخطوة !
إنهما مختلفان في كل شيء ،
ولن يستطيعا أبدا أن يتبادلا الحب .
ومع ذلك فإن الأمل ، هذا المنافق ،
راح يقنعني بقوله : إنهما عاقلان
نبيلان وبصيران وصديقان لك »

وأى رباط أوثق من رباط
يجمع بين القلوب الكبيرة ؟
ما كان أجمل وأصدق ما وهب نفسه لي !
آه ليتنى تكلمت على الفور مع أنطونيو !

ترددت ، وكان الوقت ضيقا ؛
تهيبت أن أبدأ كلامي معه
فأوصيه بالشاب وألح عليه ،
إعتمدت على التقاليد والآداب
والعرف المألوف بين الناس
الذى يرعاه حتى الأعداء ؛
ولم أنخش على الرجل المحرب
من اندفاع الشباب المتهور .
ولكن حدث ما خشيت . ظننت الشر بعيداً ،
وها هو الآن قريب . ماذا أفعل ؟ أشيرى على ؟
ليونورا : أنت تعرفين أن من الصعب على أن أشير
بعد ما قلته بنفسك . فليس الأمر هنا أمر سوء تفاهم
بين أناس متشابهين في التفكير ،
فذلك أمر تصلحه الكلمات أو يصلحه السلاح
إن دعا الأمر في يسر وبغير عناء .
شعرت من زمن بعيد أنهما رجلا
يعادى أحدهما الآخر لأن الطبيعة
عجزت عن أن تكون منهما رجلا واحدا ،
ولو فطنا إلى مصلحتهما لأصبحا أصدقاء ،
ولو قفا كرجل واحد وتقدما في الحياة

قويين سعيدين مرحبين ،
هكذا كنت أرجو ، غير أنني أرى الآن عبث الرجاء .
إن الخلاف الذي وقع اليوم ، أيا كان أمره ،
يمكن أن ننهيه ؛ غير أن هذا
لا يضمن لنا المستقبل ولا يؤمننا على الغد .
لقد فكرت أن من الأفضل أن يسافر تاسو
ويغادر هذا المكان إلى حين ،
إنه يستطيع أن يتجه إلى روما أو إلى فلورنسا ؛
هناك ألتقى به بعد أسابيع قليلة
وقد أؤثر على وجدانه تأثير الصديق .
أما أنت فتستطيعين أن تحاولي من جديد
أن تقربي أنطونيو منك ومن أصدقائك
وهو الذي كاد يصبح غريبا عنا .
كل هذا الذي يبدو الآن مستحيلا
قد يحققه الزمن الطيب الذي يحقق الكثير .
الأميرة : تريدن ، يا صديقتي ، أن تستأثري بالمتعة ،
وتركيني للحرمان ، فهل هذا من الإنصاف ؟
ليونورا : لن تحرمي في هذه الحالة إلا من شيء
لن يمكنك أن تستمتعي به .
الأميرة : أنني صديقا لي بكل هذا الهدوء ؟

ليونورا : بل ستحتفظين به وإن نفيتَه في الظاهر .
الأميرة : لن يوافق شقيقى على تركه .
ليونورا : إذا رأى الأمر كما نراه فسوف يقبل .
الأميرة : من الصعب أن يجنى الإنسان على نفسه بجنائته على
صديق .

ليونورا : ومع ذلك فالصديق هو الذى تنقذينه فيك .
الأميرة : لا لن أوافق على أن يحدث هذا .
ليونورا : إنتظري إذن أن يحدث ما هو أسوأ .
الأميرة : أنت تعذبنى ولا تدرين كيف تحسنين إلى .
ليونورا : عما قريب نتبين من المخطيء فينا .
الأميرة : إذا لم يكن مفر من ذلك فلا تلحى على بالسؤال .
ليونورا : من يصمم يهزم الألم .
الأميرة : لا أستطيع أن أصمم ، ولكن ليكن لك ما تريد
ما دامت غيبته عنا لن تطول -

ولنرع شثونه يا ليونورا
حتى لا يقاسى في المستقبل من الحرمان
وحتى يرضى الأمير أن يرسل إليه في غربته
راتبه الذى يكفل له الحياة .
تكلمى مع أنطونيو ، فهو يملك أن يؤثر على شقيقى ،
ولن يحفظ هذا التراع قلبه .

على صديقنا أوعلينا .

ليونورا : كلمة واحدة منك يا أميرة أقوى في التأثير .

الأميرة : تعلمين يا صديقتي أنني لا أستطيع

أن ألتبس شيئاً لنفسي أو لأصدقائي

كما تفعل شقيقتي التي تعيش في أورينو .

إنني أحب أن أقضي حياتي في هدوء

وألتقي من شقيقي في امتنان

كل ما يستطيع أو يريد أن يعطيه لي .

كثيراً ما يلت نفسي على هذا ،

لكنني الآن قد تغلبت على هذه النزعة .

وكثيراً ما عاتبتي صديقة على هذا وقالت لي :

أنت تحبين بطبعك الإيثار ، وهذا شيء جميل ،

غير أنك تبالغين في ذلك فلا تحسبن

بما يحتاج إليه أصدقاؤك .

نعم إنني أدع الأمور تجري في سبيلها

ولابد لي أن أتحمل هذا العتاب

ولكن مما يزيدني سعادة أن أتمكن الآن

أن أمد يد العون لصديقي ،

لقد ورثت هذا عن أُمي ،

وأود الآن أن أرعاه .

ليونورا : وأنا يا أميرة أرى الفرصة سانحة
لكى أبرهن له على صداقتى .
لقد كان دائما يسىء تدبير شئونہ
وسأعرف كيف أساعده كلما احتاج .

الأميرة : نخذه إذن ، وإن كتب على الحرمان .
فلتكونى أنت أولى به من كل إنسان
أجل ! لأننى أرى أن هذا هو الأفضل .
أحتم على أن أثنى على هذا العذاب
والتمس فيه من جديد الخير والشفاء ؟
هكذا كان حظى منذ الطفولة ،
وأنا الآن قد تعودت عليه .
نحن لا نفقد السعادة الرائعة كل فقدان
حين نعلم أنها لم تكن من نصيبنا .

ليونورا : أتمنى أن أراك فى يوم من الأيام
تنعمين بالسعادة التى تستحقينها .

الأميرة : اليونورا ! سعادة ؟ ولكن أين هو السعيد ؟
ربما استطعت أن أقول عن شقيقى إنه سعيد ،
فقلبه الكبير يتحمل صروف القدر وهو صبور ؛
غير أنه لم ينل أبدا ما هو به جدير .

هل شقيقتي التي تعيش في أوربينو سعيدة (١) ؟
هذه المرأة الحميلة ، هذا القلب النبيل الكبير !
لأنها لم تهب زوجها الذي يصغرها أطفالا
وهو يحلها ولا يشكو منها ،
ومع ذلك فالفرح لا يسكن بيتهما .
ماذا استفادت أنا من حكمتها ؟ (٢)
ماذا جنت من علمها الزاخر ومن فكرها الرفيع ؟
هل استطاع أن يحميها من الخطأ الغريب ؟
لقد انتزعونا منها ، وهي الآن في التراب ،
ولم تترك لنا نحن الصغار الغراء
الذي يشعروا بأنها ماتت على وفاق مع الله .
ليونورا : آه لا تتطلعي إلى ما يفتقر إليه كل انسان ،
بل فكري فيما بقي لكل واحد منا ،
فكري فيما بقي لك يا أميرة .
الأميرة : ما بقي لي ؟ الصبر يا اليونورا !

(١) إشارة إلى زواج شقيقتها لوكرتسيا من ولي عهد أوربينو الذي كان يصغرها بكثير . فقد فشل هذا الزواج وعادت لوكرتسيا بعد قليل إلى بيت أبويها .

(٢) كانت ريناتا ، والددة الأميرة وشقيقتها لوكرتسيا ، ابنة لويس الثاني مشر ملك فرنسا ، وكانت على علاقة بالمصلح الديني المشهور «كالفين» الذي أقام بضعة شهور في بلاط «فرارا» واعتنقت مذهب . وعندما اكتشف ذلك حرمت من تربية أطفالها ، واضطر ابنها بعد توليه الحكم إلى الخضوع لمحكمة التفتيش وطردها من البلاد حيث ماتت في فرنسا وطنها الأول .

تعلمت أن أمارسه من عهد الشباب .
عندما كان أصحابي وإخوتي
يستمتعون معا بالأعياد والألعاب
كان المرض يحبسني في حجرتي
وكان علي أن أرافق الأحران
وأن أتعلم الحرمان قبل الأوان .
شيء واحد كان يسليني في وحدتي ،
هو متعة الغناء ؛

كنت أسلي نفسي بنفسي ،
وأهدد الألم والشوق والأمنيات
على رنين الأنغام الهادئة .

هنالك كان يتحول الألم في كثير من الأحيان
إلى متعة والشعور الحزين نفسه إلى انسجام .

غير أن هذه الفرحة لم تدم طويلا
فسرعان ما حرمني منها الأطباء ،
وحكموا علي بالصمت . كان علي أن أعيش وأتعذب ،
وأحرم من عزائي الوحيد المسكين .

ليونورا : ولكن الكثيرين من الأصدقاء وجدوا طريقهم إليك ،
وأنت الآن صحيحة وفرحة بالحياة .

الأميرة : صحيحة ، نعم ، أعني أنني لست مريضة ؛

وعندى من الأصدقاء من يسعدنى وفاؤهم .
كذلك كان لى صديق -

ليونورا : وما زال .

الأميرة : وسوف أفقده عن قريب .

كانت اللحظة التى رأيتها فيها أول مرة
لحظة حافلة بالمعاني . كنت لم أكد أشفى من عذابى ،
الآلم والمرض لم يكونا قد فارقانى ،
عدت أنظر إلى الحياة نظرة هادئة رضية ،
وأبتهج بالنهار وبالقرب من أخواتى ،
وأذوق بلسم الأمل العذب فى ثقة ورجاء .
وجدت الشجاعة التى تجعلنى أنظر إلى المستقبل ،
وطالعتنى من على البعد وجوه صديقة .

هنالك ، يا ليونورا ، قدمت إلى شقيقتى ذلك الشاب
كان يضع يده فى يدها ، وأستطيع أن أعترف لك
بأن قلبى تشبث به ، وسوف يحتفظ به على الدوام .

ليونورا : آه يا أميرتى ، لا تأسنى على شيء !

فالنفس التى تتعرف على النبيل ،
تحصل على كثر لا ينتزع منها إلى الأبد .

الأميرة : كل ما هو جميل ورائع

ينحشى منه كما ينحشى من الذهب

الذى يتألق ويزدهر
مادام يرسل نوره فى مسكنك
وما دامت شعلته تضىء لك .
ما أرق هذا الضوء ! ومن ذا الذى يريد
أو يستطيع أن يستغنى عنه ؟
فإذا مضى يلتهم ما حوله
فما أبشع الشقاء الذى يسببه !
دعنى الآن . إننى أثرثر ، وكان يحسن بى
أن أخفى ضعفى ومرضى
عنك أنت أيضاً .

ليونورا : إن أسهل ما يبدد مرض الروح
أن يثق الإنسان بأصحابه ويبتهم شكواه .
الأميرة : إذا كانت الثقة تشقى ، فسوف أشقى سريعاً ؛
فأنا أثق فىك ثقة خالصة وكاملة .
آه يا صديقتى ! لقد صممت ، فليرحل إذن !
لكننى أحس من الآن
بالألم الطويل الممل على مدى الأيام
حين يكتب على الحرمان من مصدر سعادتى .
الشمس لن تقوى أن تزيل من جفونى
صورته الحميلة المضيئة ؛

والأمل في رؤياه لن يملأ الروح
الذي كاد يستيقظ بالشوق البهيج
ونظرتي الأولى في حدائقنا
ستبحث عنه عبثا في ندى الظلال .
كم كنت أحس بالرضا الجميل
حين أمضى معه أمسياتي الهادئة !
وكم كان اللقاء معه يزيد
رغبتنا في معرفة أنفسنا وفهمها !
وفي كل يوم يرقى الوجدان
إلى سماء الانسجام الصافية .
يا للغيوم التي تسقط الآن على عيني !
روعة الشمس وبهجة الضحى ،
وسنى العالم البهى الألوان
قد غاصت الآن في هوة الفراغ
ولفها الضباب الذى يحيط بى .
كل يوم عشته كان حياة كاملة ،
تسكت الهموم فيه وتخرس الهواجس
ويحملنا التيار كالمسافرين السعداء
على موجه الهادىء بغير مجداف .

ها هو الحاضر يظلم
والخوف من المستقبل يتسلل إلى قلبي .
ليونورا : سيعيد إليك المستقبل أصدقاءك ،
وسيحمل إليك فرحا جديداً وسعادة جديدة .
الأميرة : أود أن أحتفظ بما أملكه :
فالتغير قد يسلي ، لكنه لا يكاد يفيد .
أبدا لم يدفعني حماس الشباب
لأن أمد يدي في وعاء الأقدار
الذي يحترق بمصادفات العالم الغريب
طمعا في شيء يرضي قلبي المتلهف الغرير .
لقد حملني على احترامه ، ولذلك أحببته ،
ووجدتني أحبه ، لأن حياتي معه
تحولت إلى حياة لم أعرفها من قبل .
في أول الأمر قلت لنفسي : ابتعدى عنه !
وكلما هربت منه ، وجدتني أزداد قربا
وأحس عذوبة الانجذاب وقسوة العقاب !
واختفت السعادة الصافية الحقة من حياتي ،
وجاء روح شرير فخدع أشواقى
وأبدل بالآلام سعادتي وأفراحي .
يونورا : إن عجزت كلمات صديقة أن تحمل إليك العزاء

فسوف تستطيع القوى الخفية للعالم الجميل
ويستطيع الزمن الرحيم على غير انتظار
أن يعيدا البهجة إليك^٢.

الأميرة : حقا إن العالم جميل ! وفي أرجائه الواسعة
ينتشر الخير هنا وهناك .

آه ! لماذا يبدو لنا الخير على الدوام
كأنه لا يبتعد عنا إلا خطوة واحدة ،
ويظل الحنين إليه على مدى الحياة
يجذبنا خطوة فخطوة إلى القبر ؟
من النادر أن يدرك الناس
ما كانوا يحسبونه من نصيبهم
ومن النادر أن يحتفظوا طويلا
بما استطاعت اليد السعيدة أن تمسك به !
السعادة التي لم تكد تهب نفسها لنا تفلت منا
وأيدينا تتخلى عما تشبثت به في نهم .
السعادة موجودة ، لكننا نجهلها ،
أو نحن نعرفها ، ولكننا لا نعرف كيف نقدرها .

المشهد الثالث

ليونورا : (وحدها) أيها القلب النبيل الجميل ، كم أرثى لك !
ويا للقدر الحزين الذى نزل بروحها السامى !
آه ! إنها تفقده ، وتفكرين أنت فى أن
تكسيه ؟

أمن الضرورى حقا أن يبتعد ؟
أم تراك تدبرين هذا الرحيل كى تستحوذى
على القلب والمواهب التى اقتسمتها حتى الآن
مع غيرك ، وما كانت القسمة عادلة ؟
أمن الأمانة أن تسلكى هذا السلوك ؟
أليست لديك الثروة التى تكفيك ؟ هل
يعوزك شيء ؟

عندك الزوج والولد والغنى ، ولديك
المركز والجمال ،
تملكين هذا كله ، وتطمعين أن تضيفيه إلى
ما تملكين ؟

أتخبينه ؟ لماذا يشق عليك إذن أن ترهذى
فيه ؟

تستطيعين أن تصارحى نفسك - فما أجمل
أن ترى صورتك

منعكسة على روجه الحميل !

ألا تتضاعف سعادتك وتزداد روعة

حين ترفعك أشعاره فوق السحاب ؟

هنالك تكوينين جديرة بالحسد ! ولاتقنعين

بما يحلم به كثيرون سواك

بل وفرحك أن تبهرى عيون الجميع !

وينادى الوطن باسمك ، ويتطلع إليك ،

وتلك هى ذروة السعادة والهناء ؛

أتكون « لاورا » (١) هى الاسم الوحيد

الذى تترنم به شفاه المحبين ؟

وهل كان من حق « بتراركا » وحده

أن يرفع الحميلة المجهولة إلى السماء ؟

أين الذى يستطيع أن يقارن نفسه بصديقى ؟

إذا كان العالم يكرمه اليوم

(١) هو اسم المحبوبة التى يتغنى بها الشاعر الايطالى « بتراركا »
(١٣٠٤ - ١٣٧٤) فى اغانيه ، وان لم يذكر اسمها أبدا فى أشعاره .

فسوف تهتف باسمه الأجيال القادمة .
ما أجمل أن تعيش بجانبه
في هذا المجد الرائع !
وتمضي معه إلى المستقبل
بخطى خفيفة مجنحة !
لا الزمن عندئذ ولا الشيخوخة
تستطيع أن تنال منك
ولا الصبغات الوقحة
التي تتقاذفها أمواج الشجاح :
إن أشعاره تخلد ما من طبعه الفناء
وسوف تظلين جميلة وسعيدة
حين تكون دورة الحياة
قد جذبتك معها من زمن بعيد .
يجب أن يكون لك ،
ولن تسلي صديقتك شيئا ،
فعاطفتها نحو الرجل النبيل
لا تختلف عن بقية عواطفها .
إن نورها كضوء القمر الشاحب
الذي لا يكاد يكشف للمسافر
طريقه في عتمة الليل :

وهي لا تنشر الدفء حولها
ولا تسكب الفرح والبهجة بالحياة .
ستكون سعيدة حين تعلم
أنه على البعد سعيد ،
كما كانت تفعل حين تراه كل يوم .
ثم إنني لا أريد أن أنفي نفسي
أو أنفي صديقي عنها أو عن هذا البلاط :
بل سأعود مرة أخرى وأحضره معي .
ليكن الأمر كذلك ! — ها هو ذا الصديق
الغليظ .
لنر إن كنا سنستطيع ترويضه !

المشهد الرابع

(ليونورا - أنطونيو)

ليونورا : بالحرب جثتنا لا بالسلام ،
وكأنك قادم من معسكر أو معركة
حيث تحكم القوة ويحسم الدراع ،
لا من روما حيث ترفع الحكمة الحفية
يدها لتبارك عالما تراه

يركع عند قدميها ويطيعها عن طيب خاطر .
أنطونيو : لا بد لي ، يا صديقتي الجميلة ، أن أقبل العتاب
لكنني لن أبحث بعيداً عن وجه للاعتذار .
من الخطر على الإنسان أن يضطر طويلاً
إلى الظهور في مظهر الحكمة والاعتدال .
فهناك روح شرير يقف إلى جانبنا ويرصدنا
ويصر على طلب الضحية من حين إلى حين .
ويشاء سوء الحظ في هذه المرة
أن أقدم له الضحية على حساب الأصدقاء .

ليونورا : لقد عنيت طويلا بشئون الغرباء

وبذلت الجهود في كسب رضاهم ،
والآن بعد أن عدت إلى الأصدقاء
تسبىء فهمهم ونجادهم كأنهم غرباء .

أنطونيو : هنا ، يا صديقتى العزيزة ، بكمن الخطر !

فالإنسان يتحكم في نفسه مع الغرباء ،
ويظل متيقظا ، وهدفه أن يرضيهم لكي يخدموه
أما مع الأصدقاء فيترك نفسه على سجيتها ،
ويطمئن إلى حبهم فيسبح لنفسه
أن يبدى نزوة أو يطلق لعواطفه العنان
وهكذا يكون أول من نجرح شعورهم
هم أكثر من نكن لهم الحب .

ليونورا : بهذه الخواطر الهادئة يا صديقتى العزيز

يسعدنى أن ألقاك كما عهدتك من جديد .

أنطونيو : نعم يؤلمنى — وهذا ما أود أن أعترف به —

أن أكون اليوم قد فقدت الاعتدال .

ولكن صارحني ، ألا يشعر الرجل الذى يعود

من عمله الشاق مجهود الحيين

ويطمع أن يلتمس الراحة فى آخر المساء

فى الظل الحبيب كى يتأهب لعمل جديد ،

ثم يجد إنسانا خالي البال
يتمدد في الظل على هواه -
ألا يحس عندئذ بعاطفة
بشرية تثور في صدره ؟

ليونورا : إذا كان إنسانا بحق فسوف يسعده

أن يقتسم الظل مع رجل آخر
يجعل الراحة حلوة والعمل خفيفا
يحديثه العذب وأنغامه الرقيقة .
الشجرة كبيرة يا صديقي والظل كريم
ولا حاجة بأحد أن يزحزح غيره .

أنطونيو : لا نريد يا ليونورا أن نلعب بالأمثال

كما نلعب بالكرة من يد إلى يد ،
فكم في هذا العالم من أشياء
نحب لغيرنا أن يفوز بها كما نحب أن نشاركه فيها .
على أن هناك كترأ لا نحب أن يفوز به
إلا من يستحقه ،

وكتراً يعز علينا أن يشاركنا فيه
إنسان مهما ارتفعت مكانته -

فإذا سألتني عن هذين الكثرين
قلت هما إكليل الغار والحظوة عند النساء .

ليونورا : أياكون الإكليل الذى توج جبين الشاب
قد أهان الرجل الحاد ؟ أكان فى استطاعتك
أن تجد لمجهوده وشعره البديع مكافأة أكثر تواضعا ؟
ذلك لأن الفضل الذى يسمو فوق العالم الأرضى
ويرف فى الهواء فلا يسحر أرواحنا
إلا بأنغامه وصوره اللطيفة
يستحق كذلك أن يكافأ
بصورة جميلة أو رمز لطيف.
وإذا كان هو نفسه لا يلمس الأرض
فإن مكافأته السامية لا تكاد تلمس جبينه .
إن الغصن اليابس هو الهدية
التي تقدمها له العواطف اليابسة
التي يحس بها المعجبون نحوه
لكي تتخفف بأيسر وسيلة من دينها له .
أيمكنك أن تحسد تمثال الشهيد
على الهالة الذهبية التي تحيط برأسه الصلعاء ؟
أينما بدا لك إكليل الغار فهو بغير جدال
علامة العذاب قبل أن يكون علامة الفرح .
أنطونيو : أتريد أن أتعلم من فمك الرقيق
كيف أحتقر كل ما على الأرض من غرور ؟

ليونورا : لست بالطبع في حاجة إلى أن أعلمك .
كيف تقدر كل شيء بميزانه الصحيح .
ولكن يبدو أن الحكيم يحتاج
من حين إلى حين كغيره من الناس
أن يريه الإنسان النعم التي يملكها
ويعرضها عليه في ضوءها الصحيح .
أنت يا صديقي النبيل لن يغريك الطموح
بالسعي وراء أوهام الخطوة والشرف .
إن الخدمات التي تعرف كيف تربط بها
بينك وبين الأمير وبين الأصدقاء
هي خدمات واقعية وحية ،
ولذلك ينبغي أن تكون مكافأتك عليها
مكافأة من الواقع والحياة نفسها .
إن إكليل الغار الذي يليق بك هو ثقة الأمير ،
وهي العبء الحميل الذي يستقر
على كتفك كحمل خفيف ؛
وسمعتك هي الدليل
على ثقة الجميع فيك .

أنطونيو : ألا تقولين شيئاً عن الخطوة عند النساء ؟
أم تريدن أن تصوري لي أن من السهل الحرمان منها ؟

ليونورا : لتتصور ما تشاء . فأنت لست محروما منها ،
ومن السهل عليك أن تحتمل هذا الحرمان
الذى لا يقوى عليه صديقنا الطيب .
قل لى : إن أرادت امرأة أن ترعاك على طريققتها
وأن تهب نفسها لك :
فهل يمكنها أن تجد فرصة للنجاح ؟
كل شيء لديك نظام وأمان ،
إنك تهتم بنفسك كما تهتم بغيرك ،
وتملك دائما ما يود الإنسان أن يعطيك إياه
أما هو فيحرك فينا طبيعة النساء ؛
فهناك ألف شيء صغير ينقصه
ويسعد كل امرأة أن تقدمه إليه ؛
إنه يحب أن يلبس الرداء من الكتان الحميل
أو يرتدى الثوب من الحرير المشغول .
وهو يحب أن يترين ، بل إنه لا يحتمل
القماش الخشن الذى يدل على الخدم والرقيق .
ولا يرضى بشيء لا يجتمع فيه
الأناقة والجودة والنبيل والجمال ؛
ومع ذلك يعجزه أن يحصل على هذا ،
وإن حصل عليه فشل فى المحافظة عليه ؛

ودائما ما نراه فى حاجة إلى المال والنظام .
يترك قطعة من ملابسه هنا ، وقطعة أخرى هناك
وما من مرة عاد من سفر
إلا وقد ضيع ثلث حاجاته ،
وأسرع الخادم بسرقة .
هكذا يا أنطونيو يظل الإنسان
فى قلق عليه طول العام .

أنطونيو : وهذا القلق يجعله أعز وأحب .

ما أسعده من شاب تحسب عيوبه فضائل ،
ويتاح له فى سن الرجولة أن يمثل دور الغلام ،
ويجعل من ضعفه الرقيق ذريعة للمجد والافتخار !
يجب أن تعذرني يا صديقتي الحميلة ،
إذا كنت أعبر عن نفسي بشيء من المראה .
إنك لا تقولين كل شيء ، بل تسكتين
عما يتجراً عليه ، ولا تقولين
إنه أحب بكثير مما يتصور الإنسان .
إنه يفتخر بإشعال نارين !
ويربط عقدة هنا ويحلها هناك
ويكسب مثل هذه الألاعيب أمثال هذه القلوب !

أيمكن أن يصدق الإنسان هذا ؟
ليونورا : حسن ! إن هذا نفسه يكفي لإثبات
أن المحبة وحدها هي التي تحيي القلوب .
وإذا بادلنا الحب بالحب ، ألا نكون
قد كافأنا القلب الجميل مكافأة ضئيلة ،
وهو الذي نسي نفسه وعاش في حلم جميل
واهياً حياته كلها لأصدقائه ؟

أنطونيو : دللته وزدني في تدليله ،
إجعلني من أنانيته حباً ،
أهـن كل الأصدقاء الذين وهبوا نفوسهم الوفية لكـن ،
قدمن للمغرور الطاعة والولاء ،
حطمن روابط الثقة التي كانت
تؤلف بيتنا في وئام جميل !

ليونورا : لسنا متحيزات بالقدر الذي تظن ،
فكثيراً ما تنبه صديقنا وننهاه ،
ونسعى لتربية وجدانه بحيث يستطيع
أن يسعد نفسه ويقدم السعادة لسواه .
أما العيوب التي تأخذها عليه
فهي كذلك لا تحق علينا .

أنطونيو : ومع ذلك فكثيراً ما تمدحن ما يستوجب الملام .

أنا أعرفه من زمن طويل ،
وإن من السهل التعرف عليه ،
لأنه من الغرور بحيث لا يخفى نفسه .
أحياناً يغوص في نفسه ، وكأن العالم كله
قد استقر في صدره ، أو كأنه اكتفى بعالمه
فتلاشى عنده كل شيء من حوله .
إنه عندئذ يتغاضى ويزهد ،
ويطرح كل شيء كي يعكف على نفسه —
وكما يتفجر اللغم فجأة من شرارة غير منتظرة
كذلك يتفجر فرحه أو حزنه أو غضبه أو نزوته :
هنالك ينبغي أن يضم كل شيء ، ويحوز كل شيء ، (١)
وهنالك يطالب بأن يتحقق كل ما كان يحلم به ،
وأن يتولد في لحظة واحدة
ما يحتاج إلى سنوات عديدة ،
ويحل في طرفة عين ،

(١) يشهد هذا البيت والأبيات التالية له على أن مشكلة « تاسسو »
قريبة من مشكلة « فاوست » . فكلاهما يحس بما يسميه « شيلر » في تفسيره
للمرحبة بالازدواج أو بما تسميه الفلسفة المثالية الألمانية على لسان
هيجل بالافتراب . ولقد عبر « فاوست » عن ذلك في أبيات مشهورة يقول
فيها : نفسان آه تسكنان صدري ، تود الواحدة لو تنفصل عن الأخرى ...
الخ . . ففي تاسو وفاوست شخصيتان تشبث أحدهما كالذودة بالأرض ،
وتنزع الأخرى إلى سماء الحقيقة والمثل الأعلى .

ما لا تحله الجهود في أعوام .
إنه يطالب نفسه بالمستحيل ،
لكي يبيع لنفسه أن يطالب به غيره .
ويريد أن يضم عقله

من كل شيء طرفيه البعيدين ؛
قد لا يدرك ذلك واحد من المليون ،
وما هو في الحقيقة ذلك الواحد .
وهكذا يعود إلى الانطواء على نفسه ،
بغير أن يُصلح من أمره شيئاً .

ليونورا : إنه لا يؤذى غيره ، بل يؤذى نفسه .

أنطونيو : ومع ذلك فهو يجرح إحساس الآخرين ..

هل تنكرين أنه حين يستولى عليه الانفعال
يتجراً على إهانة الأمير والأميرة نفسها
ويتناول على أي إنسان ؟

صحيح أنه يفعل ذلك في لحظة واحدة
ولكن هذه اللحظة تذهب وتعود .
وهو عاجز عن التحكم في فمه
عجزه عن التحكم في قلبه .

ليونورا : أظن أنه إذا ابتعد عن هنا فترة قصيرة
فربما ينفعه ذلك وينفع الآخرين .

أنطونيو : لست أدري . فقد يفيد هذا وقد لا يفيد .
ومع ذلك فليس هذا هو أوان التفكير فيه .
لا أريد أن يقع الخطأ على كتفى ؛
فقد يبدو أننى أنفيه ، وأنا فى الحقيقة لا أنفيه .
إننى لا أمانع فى بقاءه فى البلاط ؛
وإذا أراد أن يتصالح معى
وإذا استطاع أن يستمع لنصيححتى
فقد نستطيع أن نحتمل الحياة معا .

ليونورا : أنت ترجو إذن أن تؤثر على الوجدان
الذى اعتقدت منذ لحظة ألا أمل فيه .

أنطونيو : نحن لا نقطع الرجاء ،
فالأمل دائماً أفضل من اليأس .
ومن ذا الذى يضمن ما قد يحدث ؟
لأنه يتمتع بتقدير الأمير .
ولابد أن نحفظ به بيتنا .
وإذا لم تفلح جهودنا فى تقويمه ،
فليس هو الوحيد الذى نصبر عليه .

ليونورا : لم أكن أتصور أنك تستطيع

أن تتجرد من التحيز والانفعال .
لقد تحولت تحولا سريعا .
أنطونيو : لعل مزية السن الوحيدة
أنه ، وإن لم يجنبنا الخطأ ،
فهو يجعلنا أقدر على التحكم السريع في نفوسنا .
لقد بذلت جهدك في أول الأمر
لكي توفقي بيني وبين صديقك .
وأنا الآن أطلب هذا "بدوري" منك .
إفعلي ما تستطيعين حتى يعود إلى رشده
ويرجع كل شيء إلى حاله القديم .
سأذهب بنفسى إليه إذا عرفت منك
أنه قد استعاد هدوءه ،
وإذا رأيت أن زيارتي له
لن تزيد الحالة سوءاً .
ولكن افعل الآن ما تريد أن تفعليه ؛
فسوف يعود الفونس مساء اليوم ، وسأكون في
صحبه .
والآن الوداع !

المشهد الخامس

أيونورا : (وحدها) لم نتفاهم ، يا صديقي العزيز ، في هذه
المرّة على رأي ،

فمصلحتي لا تسير اليوم يدأ في يد مع مصلحتك .

سأحاول أن أستغل الساعات الباقية

وأكسب تأسو إلى جانبي .

الوقت قد أزف، ا

الفصل الرابع

حجرة

المشهد الأول

تاسو : (وحده) هل صحت من حلم
وتخلى عنك الوهم الحميل ؟
أم هبط عليك النوم في يوم رائع البهجة
ولم يزل يأسر روحك ويخيفها بقيوده الثقال ؟
نعم ، أنت تحلم في اليقظة .
أين ذهبت الساعات التي كانت
تلف حول جبهتك أكاليل الزهور ؟
وأين الأيام التي كانت روحك فيها
تعب زرقاء السماء على جناح الشوق الطليق ؟
ومع ذلك فما زلت تعيش وتحس بوجودك ،
تحس بوجودك ولا تدري إن كنت تعيش .
أهو خطأى ، أم خطأ إنسان غيرى

أن أحيا هنا حياة المذنبين ؟
هل اقترفت جريمة ، حتى يحق على العذاب ؟
أليس في خطأي كله فضل يحسب لي ؟
رأيت فامتلاً قلبي بالأمل
وغرنتي الإرادة الطيبة ،
فظننت أن من يحمل وجه إنسان
لا بد أن ينطوي على روح إنسان .
إندفعت إليه مفتوح الذراعين
فوجدت مكان القلب القفل والمزلاج .
آه ! لقد كنت دبّرت الطريقة التي أستقبل بها
ذلك الرجل الذي كنت أرتاب فيه من زمن طويل !
لتكن تجربتك مع ذلك ما تكون
فعليك أن تتمسك بهذا اليقين :
لقد رأيته ! لقد وقفت أمامي !
وتكلمت إلي ، وسمعت كلامها !
نظرتها ، وصوتها ، ومعنى كلامها الرقيق
أملكها إلى الأبد ، ولا يسلبها مني الزمان
ولا ينتزعها القدر ولا الحظ الغدار !
وإذا كانت روعي قد سارعت بالتحليق في الأعلى

وإذا كنت قد رعيت في قلبي اللهب الذي يأكلني
الآن

فلست نادماً على هذا ، ولو دمر إلى الأبد حياتي .

وهبت لها نفسي وأطعت الإشارة

التي دعنتني إلى الهلاك وأنا فرحان .

ليكن ! فقد أثبت أنني جدير

بالثقة الغالية التي تعزيني

حتى في هذه الساعة التي تنفتح لي فيها

البوابة السوداء التي تتوالى منها الأحزان .

أجل ، لقد تم كل شيء ! وها هي شمس رضا

الحميل

تأفل فجأة وتغيب ؛

والأمير يحرمني من نظراته الحنون

ويتركني تائهاً على طريق ضيق كئيب .

ها هي الطيور البشعة تحوم حولي ،

والموكب الملعون الذي يتبع الليل العجوز يدور حول

رأسي .

إلى أين ، إلى أين أحرك خطاي

لأفر من هذه الأسراب الكريهة التي تحاصرني

وأنجو من الهاوية التي تفتح فوهتها لي ؟

المشهد الثانى

(ليونورا — تاسو)

ليونورا : ماذا جرى ؟ أى غضب يا عزيزى ،

وأى تهور دفعك إلى هذا ؟

كيف حدث ما حدث ؟

إننا جميعاً فى ذهول .

أين دمائتك وطبعك الرقيق ،

ونظرتك النافذة ، وعقلك السديد ،

الذى يجعلك تؤدى لكل إنسان حقه ،

وصبرك وجلدك الذى علمك أن تحتمل

ما يحتمله النبيل ، وما يندر أن يتعلمه المغرور

والتحكم الذكى فى الشفتين واللسان —

يا صديق العزيز ، إنى أكاد أنكرك .

تاسو : وإذا كان كل هذا قد تبدد الآن ؟

وإذا كنت ترين الصديق الذى حسبته غنياً

يقف أمامك الآن كما يقف الشحاذ ؟

معك الحق ، فلم أعد كما كنت ،
ومع هذا فما زلت كما كنت تعرفين .
الأمر يبدو لغزاً ، ومع ذلك فلا لغز فيه .
القمر الوديع ، الذى يسعدك بالليل ،
ويسحر نوره عينيك ووجدانك
سحراً لا يقاوم ، يلوح بالنهار
سحابة شاحبة ضئيلة تطوف بالسماء .
لمعان النهار قد أخفى ضيائي
إنكم تروننى ، وتعرفوننى ،
أما أنا فما عدت أعرف نفسى .

ليونورا : لست أفهم يا صديقى ما تقوله لى
على النحو الذى تقوله . أوضح لى ما تريد .
هل كدرك إهانة الرجل الفظ
إلى الحد الذى أصبحت معه
تسىء فهم نفسك وتسىء فهمنا ؟
ضع ثقتك فى .

تاسو : لست أنا المهان ما دمت ترين
أننى عوقبت عقاب المهين .
كان فى استطاعة السيف أن يحل الكثير
من عقد الكلام فى خفة وسهولة

غير أننى الآن سجين .
هل تعلمين - لا تفزعى يا صديقتى الرقيقة -
أن صديقك الآن فى زنزانة ؟
إن الأمير يؤذنى كما يؤدب التلميذ .
أنا لا أحاسبه ، ولا أستطيع .
ليونورا : يبدو عليك التأثير أكثر مما ينبغى .
تاسو : هل تحسبى ضعیفاً وطفلاً
إلى حد أن تفسد هذه الحادثة عقلى ؟
إن ما حدث لا يؤذنى فى الصميم
ولكن يؤذنى ما يعنيه بالنسبة لى .
دعى حسادى وأعدائى يفعلوا ما يشاؤون !
فالميدان خال ومتسع لهم .
ليونورا : إنك ترتاب بغير حق فى الكثيرين ،
وقد استطعت أن أقنع بنفسى بهذا ،
وأنطونيو نفسه لا يعاديك كما تتوهم .
إن النزاع الذى حدث اليوم ...
تاسو : إننى أدعه جانباً ، وأكتفى بالنظر إلى أنطونيو
كما كان قديماً ، وكما هو الآن .
كانت تضايقتى منه دائماً حكمتة الحامدة

وحبه لتمثيل دور المعلم على الدوام .
بدلاً من أن يبحث إن كان عقل المستمع إليه
قد اهتدى بنفسه إلى الطريق الصحيح
تجديده يعلمك ويعظك بأشياء .
تحسين بها أفضل منه وأعمق ،
ولا يستمع إلى كلمة واحدة تقولينها
بل يسيء فهمك على الدوام .

هكذا يساء فهمك ، يساء فهمك من مغرور ،
يعتقد أنه يستطيع أن يتجاهلك بابتسامته !
أنا لم أبلغ من العمر ولا من الحكمة ما يجعلني
أكتفى بالصبر وأرد عليه بالابتسام .
لم يكن من الممكن أن نستمر على هذه الحال ،
وكان لابد أن نتصادم في وقت قريب أو بعيد ،
ولو تأخر الأمر لازداد سوءاً .

لست أعترف إلا بسيد واحد ، هو السيد الذي
يطعمني ،
إنني أخضع له عن طيب خاطر ، ولست أريد سيدي
سواه .

أريد أن أكون حراً في تفكيري وإبداعي ،
فالعالم يضع لأفعالنا ما يكفي من القيود .

ليونورا : إنه كثيراً ما يتكلم عنك بالتقدير والاحترام .
تاسو : تريدان أن تقولى بالحيلة والاحتراس ، فى براعة
وذكاء

وهذا هو الذى يغيظنى ؛ ذلك لأنه يعرف
كيف يتلاعب بالألفاظ ويتحكم فيها
بحيث يصبح الثناء على لسانه هجاء ،
وبحيث لا يجرحك شىء كما تجرحك
كلمة ثناء تخرج من فمه .

ليونورا : وددت يا صديقى لو سمعت ما يقوله عنك ،
وعن الموهبة التى آثرتك بها الطبيعة الخيرة .
إنه يحس بالتأكيد من أنت وماذا تملك
وهو يقدره كذلك حق التقدير .

تاسو : آه صديقى ! إن الوجدان الذى لا يجب إلا ذاته
لا يمكنه أن يتخلص من عذاب الحسد الخائق .
مثل هذا الرجل قد يستطيع أن يغفر لغيره
الثروة والمكانة والجاه ، لأنه يقول لنفسه :
أنت تملك هذا كله ، وتستطيع أن تملكه إن شئت
وإن أصررت وكان الحظ فى جانبك .
أما هذا الذى تمنحه الطبيعة وحدها ،

هذا الذى لا يستطيع الجهد ولا التعب أبداً أن يدرسه ،
ولا الذهب أو السيف أو الذكاء أن يغتصبه ،
فذلك ما لا يمكنه أن يغفره .

أتقولين إنه لا يحسدنى على هذه الموهبة ؟
هو الذى يظن أنه إذا أجهد عقله البليد
استطاع أن ينتزع الخطوة من ربات الفنون ؟
وإذا جمع أفكاراً من بعض الشعراء
ظن أنه قد أصبح شاعراً ؟

لا ، إنه قد يسلم لى برضاء الأمير
الذى يود لو يستطيع أن يقصره على نفسه
ولكنه لن يسلم لى بالموهبة التى أنعمت بها
ربات السماء على الشاب اليتيم المسكين .

ليونورا : آه ! ليتك ترى الأمور بوضوح كما أراها
إنك تخطئ الظن به ، فليس فى الحقيقة كما تراه .

تاسو : إن كنت أخطئ الظن به ، فما أحب هذا الخطأ
إلى نفسى !

إننى أعدده ألد أعدائى ، ولن يعزبنى الآن
أن أخفف من نقمى عليه . من الحمق أن يكون
الإنسان

منصفاً في كل شيء ؛ إن معناه أن يدمر نفسه بنفسه .

هل ينصف الناس في معاملتهم لنا ؟ لا . لا !

إن الإنسان بكيانه المحدود

في حاجة إلى الإحساس المزدوج بالحب والكره .

ألا يحتاج إلى الليل حاجته إلى النهار ؟

وإلى النوم كما يحتاج إلى اليقظة ؟

لا . لا بد من اليوم أن أجعل هذا الرجل

موضوعاً لكرهى العميق ؛ ولا شيء يستطيع

أن ينتزع منى لذة الإحساس بكرهه

وإساءة الظن به على مر الأيام .

ليونورا : إن كنت تريد الإصرار على هذا الرأي

فأنت أدري ، يا صديقي الغالي ،

ما الذي يدعوك إلى البقاء في البلاط .

إنك تعلم منزله فيه .

تاسو : وأعلم ، يا صديقتي الحميلة ، منذ عهد طويل

أننى أصبحت هنا شيئاً يمكن الاستغناء عنه .

ليونورا : لست كذلك ، ولا يمكن أبداً أن تكون !

إنك تعلم كم يحب الأمير ، وكم تحب الأميرة أن

تعيش معهما ؛

وإذا جاءت شقيقتها التي تعيش في أوربينو
فهي تجيء من أجل شقيقتها كما تجيء من أجلك .

لأنهم جميعاً يضمرون لك الخير ،
ويثقون فيك ثقة بغير حدود .



تاسو : آه يا ليونورا ! أية ثقة هذه !

هل تحدث معي مرة بكلمة واحدة في شئون الدولة ،
بكلمة واحدة جادة ؟

كانت كلما عرضت مسألة في وجودي
راح يستشير فيها شقيقته وبقية الحاضرين
ولا يسألني رأيي أبداً . إنه لا يفتأ يقول :
أنطونيو قادم ! لا بد أن تبلغوا أنطونيو !
إسألوا أنطونيو !

ليونورا : أنت تتهم ، حيث ينبغي عليك أن تشكر .
إنه إن كان يجب أن يترك لك حريتك المطلقة
فذلك لأنه يكرمك بقدر ما يستطيع .

تاسو : بل يتركني على راحتي ، لاعتقاده بأنني لا أفيد
في شيء .

ليونورا : لا يمكن أن تكون عديم الفائدة ، لأن راحتك هي
مصدر قوتك .

ها أنت منذ وقت طويل ترعى الهم والضيق
في قلبك كما يفعل الطفل المدلل الحبيب .
لقد طالما فكرت في الأمر وعدت للتفكير فيه :
على هذه الأرض الحميلة ، التي يبدو كأن الحظ
اختارها لك ،

لا يمكن أن تنمو مواهبك أو تزدهر . آه يا تاسو !
هل أشير عليك ؟ هل أجرو أن أقول لك ما في نفسي ؟
إن عليك أن تبتعد !

تاسو : لا تترفق ، يا طيبي العزيز ، بالمريض !
ناوله الدواء حتى ولو كان مرأ
إسأل نفسيك ، يا صديقتي الحكيمة الطيبة ،
إن كان يمكن أن يشفى !
لني أرى كل شيء بنفسى . وا أسفاه ! لقد فات
الأوان !

أستطيع أن أغفر له ، أما هو فلن يغفر لى .
وهم محتاجون إليه ، أما أنا فلا يحتاج إلى أحد .
وهو ذكى ، وأنا لست على شيء من الذكاء .
وهو يؤذنى ، وأنا لا أحب ولا أقوى على رد أذاه .
أصدقائى يتغاضون عما يجرى ، وبعيون أخرى يرونه .

لأنهم لا يبدون أية مقاومة ، حين كان ينبغي عليهم
أن يكافحوه .

أتعتقدين أن علي أن أذهب ؟ أنا نفسي أعتقد هذا .

الوداع إذن ! - وسوف أصبر على هذا الامتحان

لقد تخليتني عني ، فلأجد القوة والشجاعة

التي تعينني على أن أتخلى بدوري عنكم !

ليونورا : آه ! إن الإنسان يميز على البعد في نقاء

ما يفضل عقولنا على القرب .

ربما استطعت حينئذ

أن تعرف الحب الذي كان يحيط بك من كل جانب ،

وربما استطعت أن تقدر قيمة الوفاء

الذي يصدر عن قلوب الأصدقاء الخالصاء

وكيف أن العالم الواسع لا يغني

عن أولئك الذين وجدوا الطريق إلى قلبك .

تاسو : هذا ما سوف نراه ! فأنا أعرف العالم منذ الشباب

وأعرف كيف يسهل عليه أن يتركنا وحيدين عاجزين

ويواصل طريقه في غير اكتراث

كما تفعل الشمس والقمر وبقية الآلهة !

ليونورا : إذا أنصت إلى يا صديقي

فلن تكرر التجربة الحزينة أبداً .
 إن كان لي أن أشير عليك
 فاذهب أولاً إلى فلورنسا
 حيث تتلاق صديقة أحر لقاء .
 لا تقلق ! فأنا نفسي هذه الصديقة
 سأرحل في خلال أيام
 لألقى زوجي هناك ، وليس شيء أحب إليه أو إلى
 من أن نراك بيننا .
 لن أقول لك شيئاً ، فأنت تعرف بنفسك
 من هو الأمير الذي ستعيش بقربه ،
 ومن هم الرجال والنساء الذين ترعاهم
 هذه المدينة الحميلة بين ضلوعها .
 ألا تقول شيئاً ؟ فكر في الأمر ! وصمم على رأي !
 تاسو : يجذبني ما تعرضينه علي ، ويتفق كل الاتفاق
 مع الرغبة التي أكنمها في نفسي ؛
 غير أنه شيء جديد علي :
 أرجوك أن تترك لي فرصة التفكير
 وسوف أستقر على رأي عن قريب .
 ليونورا : سأذهب وفي نفسي أجمل الآمال
 من أجلك ، ومن أجلنا ، ومن أجل هذا البيت .

فكر في الأمر ، وإذا أحسنت التفكير
فسوف يتعذر عليك أن تجد خيراً منه .

تاسو : شيء واحد ، يا صديقتي العزيزة !

خبريني ، ما هو إحساس الأميرة نحوى ؟

هل غضبت على ؟ ماذا قالت ؟

هل اشتدت في لومى ؟ كوني صريحة معي .

ليونورا : كان من السهل عليها أن تلتمس العذر لك ، لأنها
تعرفك .

تاسو : هل فقدت تقديرها لي ؟ تكلمي بغير تملق .

ليونورا : رضا النساء لا يفقده الإنسان بهذه السهولة .

تاسو : وإذا رحلت ، فهل تتركني أمضى وهي راضية ؟

ليونورا : لا شك في هذا ، إذا عرفت أن الرحيل في صالحك .

تاسو : ألن أفقد عطف الأمير ؟

ليونورا : تستطيع أن تطمئن إلى كرمه .

تاسو : وهل نترك الأميرة في هذه الوحدة ؟

أنت سترحلين ، وأنا على قلة شأني

أعرف مع ذلك أن لي مكانة في عينيها .

ليونورا : إننا نظل ننعيم بصحبة الصديق

ما دمنا نعلم أنه على البعد سعيد .
سيسير كل شيء على ما يرام ، فأنا أراك سعيداً
وان ترحل سائطاً عن هذا المكان .
الأمير هو الذى أمر بهذا ، وأنطونيو سيسعى إليك .
وهو يلوم نفسه على المראה التى جرح بها إحساسك .
أتوسل إليك أن تستقبله بغير جفاء .

تاسو : إننى أستطيع أن أواجهه فى كل الأحوال .

ليونورا : ولتوفقى السماء ، يا صديقى العزيز ،

أن أفتح عينيك قبل أن ترحل ،

لأريك أنه ليس فى الوطن كله إنسان

يضطهدك أو يكرهك أو يتآمر عليك !

إنك تخطيء حقاً ! وكما تؤلف الشعر لتسعد الآخرين
أراك الآن - ويا للأسف ! - تؤلف نسيجاً غريباً من
الأوهام

لتؤذى به نفسك . أريد أن أفعل كل ما أستطيع

لكى أمزق هذا النسيج ، حتى تسير حراً

على طريق الحياة الجميل .

وداعاً ! وانتظر منك رداً سعيداً .

المشهد الثالث

تاسو : (وحده) إذن فهذا هو الآن واجبي ؟
أن أعرف أنه لا أحد يكرهني ، ولا أحد يضطهدهني ،
وأن المكر كله والدسائس الخفية كلها
إنما هي من نسيج خيالي !
أن أعترف بأنني أخطأت
وأنني أظلم كثيرين
لا يستحقون مني هذا الظلم !
وهذا في الوقت الذي يتجلى فيه
حقى المطلق وخيانتهم الدنيئة
واضحة أمام وجه الشمس !
على أن أشعر عميق الشعور
بأن الأمير يفتح لي صدره ويهيني رضاه
ويغدق علي بدون حساب عطاياها
في حين أن أعدائي يستغلون ضعفه
فيعكرون نظرتة إلى ويقيدون بالطبع يديه !

هو لا يستطيع أن يرى أنه مخدوع
وأنا لا أستطيع أن أثبت أنهم خادعون ،
وعلى أن ألزم الصمت ، لا بل أنسحب من الميدان
لكى ينخدع فى هدوء
ويضللوه على هواهم !
ومن الذى يقدم لى النصيحة ؟
من الذى يلح على فى رفق وإصرار وذكاء ؟
إنها ليونورا نفسها ، ليونورا سانفيتاله
الصديقة الرقيقة ! آه . إننى أعرفك الآن !
ما الذى جعلنى أصدق شفيتها !
لم تكن أمينة حين جاءت تؤكده لى
إخلاصها ورقتها بكلماتها المعسولة !
لا ، لقد كانت وستظل خبيثة القلب ،
تتسلل بخطى خافتة بارعة لتتقرب منى .
كم من مرة خدعت نفسى بنفسى فيها !
وما خدعنى فى الحقيقة إلا الغرور .
كنت أعرفها ولكنى كنت أداهن نفسى ،
وأقول لها : هكذا تعامل غيرك ،
ولكنها معك صريحة ووفية .
الآن أراها بوضوح ، وأراها بعد فوات الأوان :

حين كنت أتمتع بالحظوة عند الأمير ، كانت
تتقرب مني

وتبدى رقتها لي ، أنا المحظوظ —
وما كدت أهوى ، حتى أدارت ظهرها
عندما تنكر الحظ بدوره لي .

وها هي تقبل الآن ، أداة في يد عدوى
تتسلل نحوى وتصفر أنغامها الساحرة كالحية الصغيرة
كم كانت تبدو رائعة ! أروع من كل وقت مضى !
وما أعذب كل كلمة كانت تخرج من شفتيها !

ومع ذلك فلم يستطع النفاق طويلا
أن يخفى عني نيتها الخبيثة . على جبهتها ،
كنت أقرأ بوضوح عكس ما كانت تقوله شفتاها .
فسرعان ما أحس بمن يبحث عن الطريق إلى قلبي
دون أن يكون صادقاً من قلبه .

أعلى أن أبتعد ؟ أن أذهب إلى فلورنسا بأسرع ما
أستطيع ؟
ولكن لماذا أذهب إلى فلورنسا ؟ إنني أرى الأمر
بوضوح .

هناك يحكم بيت الميديشى الحديد ،

صحيح أنهم لا يجهرون بالعداء « لفرارا »
ولكن الحسد الصامت يفرق
بين القلوب النبيلة بيده الباردة .

وإذا حدث أن تلقيت من أولئك النبلاء
ما يدل على رضاهم السامى على
— وذلك ما أتوقعه عن يقين —

فما أسرع ما سيحاول رجل البلاط
أن يثير الشك فى ولائى وعرفانى
وسهل أن يتم له هذا .

نعم ، أريد أن أذهب ، ولكن لا كما تريدون ؛
أريد أن أمضى بعيداً ، وأبعد مما تتصورون .
وماذا أفعل هنا ؟ من الذى يحرص على ؟

آه ! لقد فهمت كل كلمة تصيدها من شفتى ليونورا !
رحلت أحدث بمعناها ، مقطعاً بعد مقطع
وأعرف الآن تماماً ، ما تفكر الأميرة فيه .

أجل ! أجل ! كل هذا حق ، فلا تيأس !

« ستركنى أرحل وهى راضية

إذا عرفت أن ذلك فى صالحى »

لو أنها أحست بعاطفة فى قلبها

ستدمر سعادتي وتدمرني !
الموت أحب إليّ من هذه اليد
التي تتخلى عني في برود وجمود .
سأرحل ! فحاذر الآن أن تنخدع
بالصداقة والطيبة . ولن يقوى أحد على خداعك
ما دمت لا تنخدع نفسك .

المشهد الرابع

«أنطونيو — تاسو»

أنطونيو : ها أنا يا تاسو قد جئت لأتكلم معك
إن أردت واستطعت أن تستمع إليّ في هدوء .

تاسو : إن الفعل ، كما تعلم ، محرم عليّ ؛
فخليق بي الآن أن أنتظر وأسمع .

أنطونيو : إنني ألقاك هادئاً ، كما كنت أتمنى
وأحب أن أتحدث إليك بقلب مفتوح .
وأبدأ فأنزع عنك بإسم الأمير
القيد الواهي الذي بدا أنه يقيدك .

تاسو : التعسف هو الذي قيدني ، وهو الذي يفك الآن قيدي .
إنني أقبل ما تعرضه عليّ ، ولن أطلب بالتقاضي ؛

أنطونيو : إذن دعني أتكلم الآن عن نفسي
ربما جرحتك كلماتي

جرحاً كان أعمق وأبعد من أن أحس به .
كنت في ذلك الحين معذب القلب بالأحزان .

على أن كلمة واحدة مهينة
لم تفلت من شفتى بلا تدبر :
ولن تجد فيها كرجل نبيل ما تثار له
ولن تبخل كإنسان عليها بالغفران .

تاسو : لن أبحث الآن إن كانت الإهانة
أو كان السب أشد إيذاء ؟

فتلك تنفذ إلى النخاع ، وهذا يחדش الجلد .
إن سهم السب يعود فيصيب
من ظن أنه أصاب غيره بالجراح ؛
والسيف الذى يجد اليد التى تحسن تسديده
من السهل أن يرضى رأى الآخرين —
أما القلب المهان فمن العسير أن يجد الشفاء .

أنطونيو : الآن أرى من واجبى ، أن ألح عليك وأقول :
لا ترجع إلى الوراء ، وحقق رغبتى
التي يريدونها منك كذلك الأمير .

تاسو : أنا أعرف واجبى ، وسوف أطيع .
ولقد صفحت ، بقدر ما أستطيع .
إن الشعراء يحكون لنا عن رمح
يستطيع بلمسه الرفيق

أن يشفى الجرح الذى أصابه (١)
إن لسان الإنسان يملك هذه القدرة ؛
ولن أجعل الحق يغلق دونها فؤادى .
أنطونيو : أشكرك وأرجوك أن تضع رغبتى
فى خدمتك على الفور موضع الاختبار .
قل لى : هل أستطيع أن أؤدى لك خدمة ؟
لأنى أرحب بهذا كل الترحيب .
تاسو : إنك تقدم لى ما كنت أتمناه .
لقد أعدت لى حريتى وأرجوك
أن تعطينى القدرة على استخدامها .
أنطونيو : ماذا تقصد ؟ أوضح ما تقول .
تاسو : أنت تعلم أنى انتهيت من قصيدتى
ولكنها لا تزال بعيدة عن الكمال .
لقد سلمتها اليوم للأمير
وكنت أرجو أن أشفعها بالتماس .
إن عددا كبيرا من أصدقائى
مجتمعون اليوم فى روما

(١) إشارة الى احدى الخرافات الاغريقية التى تقول ان الملك
تليفوس الذى أصابه رمح أخيل فجرحه لا يمكن ان يشفى حتى يلمسه
هذا الرمح مرة أخرى .

وقد كتبوا إلى كل على حدة ،
برأيهم في بعض الفقرات ،
استطعت أن أفيد بكثير من هذه الآراء ،
ولكن لا يزال الكثير فيما يبدو لي بحاجة إلى التفكير .
ولست أحب أن أغير في مواضع كثيرة
قبل أن ألقى منهم مزيداً من الإقناع .
ولابد من وجودي لأحل عقده بالحديث .
فكرت اليوم أن أطلب هذا من الأمير :
غير أنني لم أجِد الفرصة سانحة ؛
وليس من حقّي الآن أن أتجرأ بالسؤال
لهذا أرجو أن أحصل على هذه الإجازة عن طريقك .
أنطونيو : لست أرى من العقل أن تبتعد الآن
بعد أن أنجزت عملك الذي يرضى عنك الأميرة
والأمير .

إن يوم الرضا كيوم الحصاد
إذا نضجت الثمار كان على الإنسان أن يعمل .
ولو ابتعدت الآن فلن تكسب شيئاً
بل ربما خسرت ما كنت قد كسبت .
إن الحاضر إلهة قوية وقادرة
فتعلم أن تعرف تأثيرها ، وابق هنا !

تاسو : لست أخاف شيئا ، فألفونس نبيل ،

وقد كان دائما كريما معي ؛

وما أرجوه منه أحب أن أنا له من قلبه فحسب

ولست أحب أن أتسول رضاها ؛

لا أريد أن آخذ منه شيئا

قد يندم لأنه أعطاني إياه .

أنطونيو : لا تطلب منه إذن أن يسمح لك بالرحيل ؛

إنه لن يفعل ذلك إلا كارها

وأخشى ألا يفعله على الإطلاق .

تاسو : سيرضى إذا عرف الإنسان كيف يرجوه

ولن يستطيع هذا ، إذا شئت ، سواك .

أنطونيو : ولكن قل لى : ما هى الحجج التى أقدمها إليه ؟

تاسو : دع كل مقطع من قصيدتى يعبر لك عنها !

إن ما أردته جدير بالحمد والثناء

وإن ظل الهدف أبعد من أن تدركه قواى .

لأننى لم أبخل عليها بالجهد والعناء .

كم من نهار جميل مشمس ،

وكم من ليلة عميقة هادئة

وهبتها لهذه الأغنية التقية .

كنت أرجو ، على تواضع حالي ، أن أقرب
من أولئك المعلمين الكبار القدماء ،
وتجاسرت أن أوقظ المعاصرين الأحياء
من نومهم الطويل لينهضوا بأعمال البطولة
ويشاركوا مع الجيش المسيحى العظيم
فى أمجاد الحرب المقدسة وأنظارها .
فإن استطاع نشيدى أن يوقظ أفضل الرجال
فلا بد كذلك أن يكون جديراً بهم .
لأنى أدين لألفونس بما فعلت ؛
وأحب الآن أن أشكره على إتمامه .

أنطونيو : ولكن الأمير هنا ، ومعه كثيرون
يستطيعون أن يهدوك كما يفعل أهل روما .
أتمم قصيدك هنا ، فهنا المكان الذى يلائمه .
فإن أردت التأثير على الناس ، فأسرع بعدها إلى روما .
تاسو : كان ألفونس أول من بعث فى الحماس للقصيد ،
وإذا لم أجد حكماً سواه : فسوف أستمع يقينا إلى
نصيحته .

أما رأيك ، ورأى الحكماء الذين جمعهم البلاط
فتأكد من أننى سأعرف قدره وقيمه .
عليكم أن تقررُوا إن كان أصدقائى

لم ينجحوا في إقناعي بالسفر إلى روما .

ولكن لابد لي أن أراهم .

إن جونزاجا قد ألّف المحكمة التي ينبغي على^١
أن أقدم نفسي إليها ، ولست أطيع الانتظار .

فلا مينيودي نوبيلي ، أنجيليوزا بارجا ،

أنطونيانو وسبيرون سيروني^(١) !

لا شك أنك تعرفهم جميعا .

يا لها من أسماء رائعة ! تبعث الثقة

كما تشيع الخوف في روحي

التي ستخضع لرأيهم عن طيب خاطر .

أنطونيو : أنت لا تفكر إلا في نفسك وتنسى الأمير .

أؤكد لك أنه لن يوافق على رحيلك ؛

وإذا فعل ، فسيكون ذلك بغير رضاه .

فهل تطلب منه مالا يحب أن يعطيه ؟

وهل أمد يدي للتوسط في شيء

لا أستطيع أنا نفسي أن أحبذه ؟

تاسو : أترفض أن تقدم لي الخدمة الأولى

التي أريد أن أختبر بها الصداقة التي تعرضها علي ؟

(١) أسماء شعراء ايطاليين عرفهم جونيه من كتاب سراسي « مؤرخ حياة

تاسو » الذي أشرت اليه في المقدمة .

أنطونيو : إن الصداقة الحقّة هي التي تعرف
كيف ترفض في الوقت المناسب ،
وكم يجلب الحب من أضرار
كلما استجاب لتزوة الصديق بدلا من مصلحته .
يبدو لي أنك في هذه اللحظة
تعد ما تتلهف عليه خيراً ،
وتريد أن تحقق في طرفة عين
ما تشاق إليه نفسك .
إن من يخطئ ويضل الطريق
يضع العنف والحموح
مكان الحقيقة والقوة
اللتين يفتقر إليهما .
إن من واجبي ، بقدر ما أستطيع
أن أخفف بالاعتدال من الغلواء
التي تؤذيك وتجنّي عليك .

تاسو : طغيان الصداقة هذا ، أعرفه من وقت طويل ،
وهو عندي أشد ألوان الطغيان .
إن تفكيرك يختلف عن تفكيري .
وهذا ما يجعلك تعتقد بأنه هو التفكير الصحيح .
إنني أعترف بأنك تريد الخير لي ،

فلا تطلب منى أن أسير على طريقك كي أفتش عنه :
أنطونيو : وهل تطلب منى أن أسعى في برود إلى أذاك
وأضرك عن اقتناع كامل وواضح ؟

ماسو : أحب أن أخلصك من هذا الهم !
فلن يصدني عن هدفى شيء مما تقول .
لقد أعدت إلى حريتي ، وهذا الباب
الذى يؤدي إلى الأمير مفتوح أمامي .
أنت أو أنا ! إنني أترك لك الخيار .
الأمير ينوى السفر . وليس هناك لحظة نضيعها
في الانتظار .

لأختر على وجه السرعة ! فإذا لم تذهب أنت ، -
فسأذهب أنا إليه ، وليكن ما يكون .

أنطونيو : دعني أطلب إليك أن تتريث قليلا ،
وتنتظر على الأقل حتى يعود الأمير ،
لا تذهب اليوم إليه !

تاسو : بل سأذهب إليه الساعة ، إن استطعت !
إن نعليّ يلتهبان فوق هذا الرخام ،
ولن تستريح روحي حتى يثور الغبار .
ورائي على طريق الحرية . أتوسل إليك !
أنت ترى كم يتعذر عليّ في هذه اللحظة

أن أحسن الحديث مع مولاي ،
أنت ترى - وكيف لي أن أخفي هذا ؟ -
أننى لا أستطيع فى هذه اللحظة أن أتحكم فى نفسى
ولن تستطيع قوة على الأرض أن تسيطر على .
الأغلال وحدها هى التى تقيدنى الآن !
ليس ألفونس طاغية ، فقد أعاد إلى حريتى .
وما أحب إلى نفسى أن أطيع أوامره
لولا أننى اليوم لا أستطيع !
دعونى أتمتع بحريتى اليوم فحسب
حتى أعود إلى نفسى ! وسوف لا أتأخر عن أداء
واجبى .

أنطونيو : أنت تثير الحيرة فى نفسى . ماذا أفعل ؟
أرى الآن أن الخطأ يعدى .

تاسو : إن أردت منى أن أصدقك ، إن أردت حقا أن تعيننى
فافعل ما أطلبه منك وما تستطيع
عندئذ يوافق الأمير على سفرى
دون أن أفقد عونى أو رضاه .
وسأحفظ لك هذا الحميل بالشكر والعرفان .
أما إن كنت تطوى فى صدرك حقدا قديما ،
أو كنت تريد أن تنفينى من هذا البلاط

وتجننى على سعادتى إلى الأبد
 وتلقينى إلى العالم الشاسع بغير معين
 فابق على رأيك وقف فى طريقى !
 أنطونيو : مادمت يا تاسو تريد أن أوديك ،
 فسوف أختار الطريق الذى اخترته بنفسك .
 وستكشف النهاية عن المخطيء منا والمصيب !
 أنت تصر على الرحيل ! فاسمع رأى الآن :
 لن تدبر ظهرك لهذا البيت ، حتى يحزن قلبك للرجوع ،
 ويدفعك عنادك على طريق الهروب ،
 العذاب والاضطراب والاكتئاب
 تنتظرك فى روما ،
 وستخطيء الهدف هنا وهناك .
 على أننى لا أقول لك هذا لأنصحك ؛
 وإنما أتنبأ بما سيقع عن قريب
 وأدعوك مقدما ، من هذه الساعة
 أن تثق بى فى أسوأ الأحوال .
 وسأذهب الآن إلى الأمير
 لأتكلم معه كما تريد .

المشهد الخامس

تاسو : (وحده) نعم ! اذهب الآن وأنت على يقين
من أنك أقنعتني بما تريد .
سأتعلم أن أضع قناعا على وجهي ،
فأنت المعلم الكبير ، وأنا التلميذ الذي يفهم
بغير عناء .

هكذا تضطربنا الحياة أن نتظاهر
لا بل أن نكون كأولئك الذين
كان في مقدورنا أن نحتقرهم بحسرة
وكبرياء .

الآن تتضح لي كل الأعيب البلاط !
أنطونيو يريد أن يطردني ولا يريد
أن يظهر كأنه هو الذي يطردني .
إنه يمثل دور المتسامح الحكيم
حتى يبين للناس أنني مأفون ومريض .
 ويفرض وصايته علي ، كي يجعلني طفلا
بعد أن أعجزه أن يجعل مني عبدا .

وهكذا ينشر الضباب حول جبهة الأمير
ويعكّر نظرة الأميرة إلى .

لا بد من التمسك بي ، هذا ما يفكر فيه
فقد أهدتني الطبيعة موهبة جميلة ،
لكنها ، ويا للأسف ، قد قرنت الهدية
بألوان من الضعف التي أساءت إلى :
بالغرور الجامح ، والحساسية المفرطة
والشعور المتجهّم العنيد .

لا حيلة لنا ، فهكذا صور القدر هذا
الرجل الفريد ،

وعليّنا الآن أن نقبله على علّاته ،
ونصبر عليه ، ونحتمله ، وليس ببعيد ،
أن يأتي اليوم الحميل الذي نستمتع فيه
بالبهجة التي لم نكن ننتظرها منه .
وبعد هذا فلنترك له أن يعيش
أو فلندعه كما ولد يموت !

أهذا هو ألفونس وعزمه المكين ،
الذي يرغب الأعداء بالشجاعة ويحمي
الأصدقاء بالوفاء ؟
أستطيع الآن أن أتعرف عليه ،

وهو يعاملنى هذه المعاملة ؟
أجل ! إننى أعرف الآن شقائى كله !
هذا هو قدرى الذى يجعل كل إنسان
يتغير نحوى فى نفس واحد ولحظة واحدة .
بينما يظل مع غيرى الصديق الوفى الأمين .
ألم يكن ظهور هذا الرجل كافيا
ليحطم مصيرى كله فى لحظة واحدة ؟
أليس هو الذى هدم سعادتى
من أساسها ولم يترك حجراً على حجر ؟
هل كان حتماً أن أقاسى هذه التجربة
هل كان حتماً أن أقاسيها اليوم ؟
نعم . كان الجميع يتدافعون على
والآن يتخلى عني الجميع ،
وكل من كان يحاول أن يشدنى إليه
وكل من كان يريد أن يستأثر بي
يصدنى الآن عنه ويتجنب طريقى .
وما السبب فى هذا ؟ أترجح كفته فى الميزان
كل ما كنت أحظى به من حب وتقدير ؟
نعم ! كل شئ . يهرب الآن منى .
حتى أنت ! حتى أنت ! يا أميرتى المحبوبة

تتخلين الآن عني !
لأنها لم ترسل إلى في هذه الساعات الكالحة
بعلامة واحدة تنبيء عن رضاها .
أكنت أستحق هذا منها ؟ يا قلبي المسكين !
يا من فطرت على عبادتها !
كنت لا أكاد أسمع صوتها حتى ينفذ
إلى قلبي شعور لا سبيل للتعبير عنه !
ولا أكاد ألمحها حتى يظلم في عيني
ضوء النهار الوضاح ؛
تسحرنى عينها وشفتها ،
قدماى لا تعودان تحملانى ،
وأهيب بكل ما فى من قوة الروح
كى أتماسك أمامها ولا أسقط عند قدميها ؛
وما من شيء ينقلنى من هذا الدوار .
تثبت يا قلبي ! وأنت يا عقلى المنير
لا تدع الضباب يلفك ويغشاك !
نعم ! هى أيضاً ! أقولها بلسانى ؟ ولا أكاد
أصدق !
بل إننى أصدق ، وأريد لو أخدع نفسى
بالكتمان .

حتى هي ! حتى هي ! أعذرها من كل قلبك
ولكن لا تخف الحقيقة عن نفسك :

حتى هي ! حتى هي !
آه من هذه الكلمة ، التي كنت أريد
أن أرتاب فيها

طالما تردد في صدري نفس من الإيمان ،
أجل ، هذه الكلمة ، إنها خاتم القدر
الذي يحفر رسمه على إطار من حديد
في لوحتي التي امتلأت سطورها بالعذاب.
الآن سلبت إلى الأبد من كل قوة .

وكيف أحارب ، وهي تقف في جيش
أعدائي ؟

وكيف أصبر ، وهي لاتمد يدها إلى من
بعيد ؟

ونظرتها لا تستجيب لدعائي ؟
لقد تشجعت على التفكير ، واستطعت أن
ترفع صوتك ،

وها هو الأمر حق ، وبأسرع مما كنت
تخشى !

يكفيك قبل أن يقبض اليأس على عقلك

ويمزقه بمخالب من حديد ،
أن تشكو القدر المرير
وتكرر لنفسك : حتى هي ! حتى هي !

الفصل الخامس

بستان

المشهد الأول

(ألفونس - أنطونيو)

أنطونيو : ذهبت ، كما أشرت ، للمرة الثانية
أبحث عن تاسو ، ونها أنا قادم من عنده :
بذلت جهدي لأقنعه ، لا بل ألححت عليه ،
غير أنه لا يريد أن يحيد عن رأيه
ويتوسل إليك أن تأذن له
بالسفر إلى روما لفترة قصيرة
ألفونس : لا أريد أن أخفي عنك سخطي ،
وأفضل عندي أن أصارحك به ،
على أن أكتمه وأزيد حذته .
أريد أن يسافر ؟ ! حسنا . لن أمنعه ،
أريد أن يتركنا ويذهب إلى روما ؟ ليكن له ما يشاء !
على ألا يأخذه سكيبيو جونزاجا

أو ينتزعه المديشى البارع منى (١)
 إن ما جعل إيطاليا بهذه العظمة
 هو أن كل أمير ينافس جاره
 في الاستئثار بالموهوبين والانتفاع بهم :
 والأمير الذى لا يجمع المواهب حوله
 هو عندى كالقائد بلا جيش ؛
 ومن لا يهزه صوت الشعر
 فهو متوحش ، مهما علا شأنه .
 لقد اكتشفت شاعرى واخترتة بنفسى
 وأنا أعتز به واحداً من رعاياى
 فهل أتركه إلا مرغماً
 بعد أن فعلت له كل ما فعلت ؟
 أنطونيو : إننى فى حرج ، لأننى أحمل
 أمامك ذنب ما حدث اليوم ؛
 أنا أيضاً أريد أن أعترف بخطئى
 الذى لا يغفره إلا عفوك ؛
 غير أننى سأظل بلا عزاء
 إذا تصورت أننى لم أفعل

(١) المقصود هو الكاردينال فرناندودى مديشى شقيق أمير توسكانا

كل ما استطعت لأصالحه .

آه لا تحرمنى من نظرتك الحنون
حتى أتماسك وأستعيد الثقة فى نفسى .

ألفونس : لا يا أنطونيو ، فلتهدأ نفسك

فأنا لا ألقى عليك أى ذنب ،

أنا أعرف تفكير هذا الرجل خير المعرفة

وأعلم تمام العلم ما فعلت من أجله ،

وكيف ترفقت به وتسامحت معه ،

ونسيت ما كان من حتى أن أطلبه منه .

قد يستطيع الإنسان أن يسود الكثير

لكنه يحتاج للزمن كما يحتاج للمحن والخطوب .

لكى يتمكن من السيادة على نفسه .

أنطونيو : أليس من الإنصاف أن يسأل الإنسان نفسه

حين يرى ما يفعله الآخرون من أجله

ماذا أستطيع أن أقدمه لمنفعتهم ؟

ومن ثقف عقله إلى هذا الحد ،

وجمع العلوم من أطرافها ،

وحصل ما فى طاقة الإنسان تحصيله

ألا يكون ملزماً أكثر من غيره

بالتحكم فى نفسه ؟

أليس عليه أن يفكر في هذا ؟

ألفونس : كتب علينا ألا نذوق طعم الراحة !

فلا نكاد نفكر في التمتع بها

حتى نصادف عدوا نختبر معه شجاعتنا

أو نرزق صديقا نجرب معه صبرنا .

أنطونيو : هل تراه يحقق الواجب الأول على الإنسان

الذى يفرض عليه أن يختار طعامه وشرابه

مادامت الطبيعة لم تقيدته كما قيدت الحيوان ؟

ألا يضعف كما يضعف الأطفال

أمام كل ما يثير لعبه ؟

ومتى رآه أحد يمزج خمره بقليل من الماء ؟

إنه ينتقل من التوابل إلى الحلوى إلى المشروبات القوية

ليبتلعها في نهم واحدة بعد الأخرى

ثم يشكو بعد ذلك من كآبة روحه ،

واضطرام دمه وحدة طبعه

ويلقى اللوم على الطبيعة والقدر .

كم من مرة رأيت يجادل طبيبه

ويلقى الكلام في مرارة وحمق ،

وكم أوشكت على الضحك ، لو كان يضحك

ما يعذب الإنسان ويضايق غيره .

إنه يقول في قلق : أشعر بهذا الألم «
 ثم في ضيق : « فيم تفاخر بفنك ؟ — أوجد لي العلاج ! »
 ويرد الطبيب : « حسن ! فامتنع عن هذا وذاك »
 — « لا أستطيع »
 — « إذن فاشرب هذا الدواء »
 — « لا . إن طعمه البشع يملؤني بالاشمئزاز »
 — « إذن فاشرب ماء »
 — أشرب ماء ؟ مستحيل ! لأنني أخاف الماء كما يخافه
 من عضه كلب .
 — إذن فلا أستطيع أن أفعل لك شيئاً .
 — وما السبب ؟
 — لأن الدواء سيجر غيره معه ، وإذا لم يقتلك
 فسوف يزيد عذابك كل يوم .
 — شيء جميل ! وما الفائدة إذن من أن تكون طبيبا ؟
 إنك تعرف دائي ، ومن واجبك أيضاً أن تعرف الدواء
 وتحبب طعمه إلي ، حتى لا أضطر إلى العذاب
 لكي أتخلص من العذاب .
 أراك تبسم ، أليس هذا هو الذي يحدث ؟
 ألم تسمعه بنفسك من فمه ؟
 ألفونس : كثيراً ما سمعته وغفرته له .

أنطونيو : حقا إن حياة بعيدة عن الاعتدال
تملؤ نومنا بالكوابيس الثقيل
وتسوقنا إلى الحلم في وضوح النهار .
حيثما ذهب ، يظن نفسه محاطاً بالأعداء .
وظن أن كل من يعترف بموهبته يحسده ،
وكل من يحسده يحقد عليه ويضطهده .
كم من مرة ضايقت بشكواه :
بالأقفال التي كسرت ، والرسائل التي فتحت
والسم والخنجر ! وكل مايطوف بخياله !
ولقد أمرت بالبحث ، وبحثت بنفسك
فهل وجدت شيئا ؟ لا أثر !
لا رعاية أمير تشعره بالأمان
ولا قلب صديق يرويه بالحنان .
ألمثل هذا تريد الراحة والهناء ؟
أترجو لنفسك منه السعادة والصفاء ؟

ألفونس : لو كنت أريد منه منفعة قريبة
لكان لك الحق فيما تقول يا أنطونيو !
أليس في صالحى أنى لا أنتظر
منفعة عاجلة مباشرة ؟
إن كل شيء يخدمنا على طريقته ؛

ومن أراد أن يستخدم الكثير
فليستخدم كل شيء بما يتفق وطبيعته
وبهذا تتحقق له المنفعة .
هذا هو الدرس الذى علمنا إياه آل مديشى
وهذا ما برهن عليه البابوات بأنفسهم .
كم من عبقرى رعاه هؤلاء الرجال
بالسماح والصبر وطول الأناة
وكان يظن أنه فى غنى عن نعمتهم
ومع ذلك لم يستطع أن يحيا بدونها !
أنطونيو : ومن يجهل هذا يا أميرى ؟ إن التعب فى الحياة
هو وحده الذى يعلمنا تقدير عطايها .
لقد نعم بالكثير حين كان لا يزال صغيراً
فلم يقنع بالمتع القليلة .
ليته يعرف أولاً كيف ينعم
بما تغدقه الأيدى السخية عليه :
إذن لاستطاع أن يحزم قواه
ويشعر بالرضا خطوة خطوة .
إن الرجل النبيل الذى لا يملك ثروة
يستطيع أن يبلغ أسمى أمانيه
إذا جعله أمير عظيم من رفاقه

وحرره بيده الرقيقة من الضيق .
 فإذا حباه كذلك ثقته ورضاه
 واصطفاه بجواره على كل من عداه
 في الحرب والحكم والحديث
 فقد يبدو لي أن الرجل المتواضع
 يستطيع أن يشكر حظه في صمت .
 وتأسو يزيد على هذا كله
 أروع ما يمكن أن يحظى به شاب :
 فالوطن يكرمه ويعقد عليه الآمال .
 صدقني إن قلت إن مزاجه الغريب
 يتقلب على مخدة حظه السعيد .
 ها هو قادم . فسرّحه في كرم
 ليلتمس في روما أونابولي أو حيث شاء
 ما يفتقده هنا ، وما لن يجده في غير هذا المكان .
 ألفونس : أريد أن يسافر أولا إلى « فرارا » ؟
 أنطونيو : بل يرغب أن يبقى في « بلرجواردو » ،
 ويكلف أحد أصدقائه أن يرسل إليه
 أهم ما يحتاجه في رحلته .
 ألفونس : بكل سرور . ستبادر شقيقتي بالعودة إلى المدينة
 مع صديقتها ، وسأسبقهما على جوادي .

وستلحق بنا بعد أن ترعى شئوننا .
مر الحاجب أن يقوم بما يلزم
ليبقى في القصر إلى ما يشاء
حتى يرسل أصدقائه إليه المتاع
وتصله الرسائل التي أحب أن أعطيها له
ليأخذها معه إلى روما . ها هو قادم
الوداع !

المشهد الثانى

(ألفونس - تاسو)

تاسو : (فى تحفظ) عطفك الذى طالما غمرتني به

يتجلى لى اليوم فى أبهى ضياء .
الإثم الذى ارتكبت فى جوارك
عن طيش غفرته لى .

نخصمى جعلته يمد يديه لى
وتريد الآن أن تأذن لى
بالبعد قليلا عن جوارك ،
ويشاء مع ذلك قلبك الكريم
أن لا يحرمنى من رضاه .
سأرحل عنك وملئ الثقة
وأبعد عنك وكلى رجاء
بأن غيابى هذا القصير
سيشغى هموم القواد الكسير .
أريد أن تسمو روحى من جديد

وأسعى على الدرب الذى شجعتنى نظرتك الحنون
على السير عليه فى سعادة وجرأة
لكى أعود جديراً بعطفك .

ألفونس : أتمنى لك الحظ السعيد فى رحلتك
وأرجو أن نراك بيننا من جديد
مبتهج النفس فى أطيب حال .
عندئذ ترد إلينا المكسب مضاعفاً
عن كل لحظة حرمتنا منها .
سأعطيك رسائل لرجال وأصدقاء فى روما
وأرجو أن تعدهم جميعاً أصدقاء أوفياء
أما أنا فسوف أظل أنظر إليك
على البعد كصديق حميم .

تاسو : أنت تغمر بفضلك يا أمير
إنساناً يشعر أنه لا يستحقه
ولا يكاد فى هذه اللحظة يستطيع
أن يعبر لك عن شكره .
وبدلاً من أن أقدم لك امتنانى
جئت أرفع إليك التماساً !
أنت تعلم كم أعتر بقصيدى ،
لقد بذلت فيه الكثير ولم أبخل عليه

بجهد ولا عناء ، ومع ذلك فلم يزل
أبعد بكثير عما أتمناه .
أريد أن أعود تلميذاً من جديد
هناك حيث لا تزال أرواح العباقر
تطوف في السماء وتؤثر على القلوب ،
فربما تصبح أناشودتي جديدة باستحسانك .
أتوسل إليك أن تعيد إلى الأوراق
التي نخجلني أن أعرف أنها بين يديك .
أفونس : أتريد اليوم أن تسترد الهدية

التي أعطيتني في هذا اليوم نفسه ؟
دعني أتوسط بينك وبين قصيدك .
حاذر أن تفرط في الجهد والعمل
فتؤذي الطبيعة الرقيقة التي تنبض في أحياتك ،
ولا تنصت إلى النصائح التي تنهال عليك من كل
ناحية !

إن آلاف الأفكار التي تصدر عن أناس مختلفين
يناقضون بعضهم في الرأي والحياة
يضمها الشاعر الذكي في كل واحد
فلا يهاب أن يغضب القليلين
مادام سيفوز بالمزيد من رضا الآخرين .

ومع ذلك فلست أريد بهذا أن أقول
إنك لا تحتاج أن تمر عليها في هدوء
فتهذب فيها هنا وهناك ،
ولذلك أعدك الآن أن أعطيك
نسخة منها بعد وقت قصير .
أما المخطوطة فسأحتفظ بها
لأستمع بها مع شقيقتي .
فإذا رجعت إلينا بنسخة أكمل
فسوف تزيد متعتنا بها
وقد نلقتك إلى بعض الملاحظات
التي نبديها لك كأصدقاء .

تاسو : أتوسل إليك من جديد في خشوع :
دعني أحصل على هذه النسخة على وجه السرعة !
إن كياني كله يعيش الآن في هذا القصيد
وإذا قدر له أن يكون شيئاً ، فليكن الآن !
ألفونس : إنني أحيي هذه الرغبة التي تملك عليك نفسك !
ومع ذلك فمن واجبك يا عزيزي تاسو
أن تفرج عن نفسك بقدر ما تستطيع
وتستمع بالعالم الواسع قليلاً
وتأخذ علاجاً ينقي دمك .

هناك يستعيد وجدانك الانسجام الحميل
ويعطيك مالن تناله بالانفعال الكثيب .

تاسو : قد يبدو الأمر كذلك يا أميرى
ولكننى بمجرد أن أنكب على عملى
أحس بأننى صحيح معافى
وأستمد من العمل قوة جديدة .
إنك تعرفنى منذ وقت طويل
وتعرف أننى أضيق بحياة الفراغ ؛
إن الراحة هى آخر ما يريحنى .
وهذا الوجدان ، ويا للأسف ، لم تهيئه الطبيعة
ليطفو مرحا على نهر الأيام
ويسبح فى بحر الزمان الواسع .

ألفونس : كل ما تفكر فيه أوتفعله
يغوص بك إلى أعماق نفسك !
كم من هاوية حفرها القدر حولنا
لكن أعماقها هنا فى قلبنا
وهى تجذبنا إلى التردى فيها .
أتوسل إليك أن تنتزع نفسك من نفسك !
وسترى أن ما ستفقده كشاعر ستكسبه كإنسان .

تاسو : عبثاً أحاول التحكم فى هذا الدافع

الذى يمحج فى صدرى ليل نهار .
لانى إن توقفت عن الفكر والإبداع
لم تعد الحياة فى عىنى حياة .
أستطيع أن تمنع دودة الحرير
من أن تغزل النسيج الذى يؤدى لموتها ؟
من قلبها تنتزع الحيط النفيس
فلا تتوقف حتى تغلق الكفن على نفسها .
ليت إلها محسناً ينعم علينا
بنصيب هذه الدودة الذى تحسد عليه !
ليتنا نستطيع ذات يوم
أن نفرء الجناحين المشعين
فى وادى الشمس البعيد
فى بهجة وبغير ميعاد .

ألفونس : إستمع إلى ! لانى أرجوك

— وأنت الذى تضاعف للكثيرين بهجة الحياة —
أن تتعلم أنت نفسك قيمة هذه الحياة
التي أغدقت عليك عطاياها بسخاء .
وداعاً ! وكلما أسرع بالرجوع
زدتنا فرحة بعودتك .

المشهد الثالث

تاسو : (وحده) تمالك يا قلبي ، فأنت على الدرب الصحيح !

المهمة عسيرة ، إنها المرة الأولى

التي تجرب فيها أن تتنكر ولا تخيب .

ها أنت قد سمعت : لم يكن هذا قلبه

ولا الكلمات كما عهدتها كلماته .

لكأني ما سمعت إلا صوت أنطونيو .

آه كن على حذر ! فسوف تسمعه الآن

يأتيك من كل ناحية . تمالك . تمالك !

لم تبق غير لحظة وتترك الهدف .

من تعلم التنكر في أواخر الحياة

أنقذته سمعته الطيبة من العيون

فتعلم كيف تحقق فنونهم ، وسيتم كل شيء على

ما يرام .

(بعد فترة صمت)

أنت تتباهى بالانتصار قبل الأوان ! ها هي قادمة
هناك !

الأميرة الرقيقة قادمة ! يا له من شعور !
لأنها تدخل . والشك والسخط اللذان تجمعا في قلبي .
يذوبان الآن في دموع الأحران .

المشهد الرابع

(الأميرة - تاسو - ثم يدخل الباكون قبل نهاية المشهد)

الأميرة : هل تفكر إذن في أن تتركنا
أم تريد أن تبقى قليلا في بلرجواردو
حتى يأتى اليوم الذى ترحل عنا فيه
لفترة قصيرة كما أتعشم يا تاسو ؟
أنذهب إلى روما ؟

تاسو : سأذهب أولا إلى هناك ،
فإذا أحسن الأصدقاء استقبالي كما أرجو ،
فقد أستطيع أن أحشد صبرى وعنايتى
لأضع اللمة الأخيرة في قصيدتى .
سأجد هناك رجالا كثيرين
يحق لهم أن يصفوا أنفسهم
بأنهم سادة في كل الفنون .
ألا ينطق كل مكان في تلك المدينة العظيمة

ألا يتحدث كل حجر إلى قلوبنا ؟
وكم من ألف معلم صامت يشير إلينا
إشارة الصديق في هيبة وجلال !
وإذا لم أستطع أن أكمل قصيدتي هناك
فأين إذن أستطيع أن أكملها ؟
بيد أني ، ويا للأسف ، أحس من الآن
أنني لن أنجح فيما سأقدم عليه .
لا شك أنني سأغير فيها ، لكنني لن أستطيع إتمامها
إنني أشعر الآن ، أشعر بكل وضوح
أن الفن العظيم الذي يغدو الجميع
وينعش العقل السليم ويقويه
سوف يدمرني ويطردني بعيداً عنه .
أريد أن أهرب ! أريد أن أذهب الساعة إلى نابولي !
الأميرة : وهل يمكنك أن تخاطر بهذا ؟ إن حكم النفي
الذي نزل بك وبأبيك لم يرفع بعد .
تاسو : أنت على حق في تحذيرك ، ولكنني فكرت في المسألة .
سأذهب إلى هناك متنكراً
مرتدياً ثوب الحجاج أو الرعاة المساكين .
سأدخل المدينة خفية ،
حيث يضع الفرد في زحام الألوف .

سأمرع إلى الشاطئ حيث أجد هناك
قارباً يركبه أناس طيبون من مدينة سورنت
وفلاحون عائدون إلى بيوتهم من السوق .
ذلك لأننى لا بد أن أسرع إلى سورنت
فهناك تعيش شقيقتى التى كنت وإياها
بالنسبة لأبويننا كل العذاب والسرور .
سألزم الهدوء فى القارب ، وأدلف إلى الشاطئ فى صمت
وأصعد فى حذر على الطريق المؤدى إلى بوابة المدينة
وهناك أسأل : أين تعيش كورنيليا ؟ دلونى على مسكنها
كورنيليا سيرسالى ؟

وسأجد غازلة تبتسم لى وتدلنى على البيت والطريق .
وأواصل الصعود . وحول الأطفال ينظرون مدهوشين
إلى الشعر المضطرب والوجه الغريب الحزين .
وأبلغ العتبة ، فأجد الباب مفتوحاً ، وأدخل .

الأميرة : إفتح عينيك يا تاسو إذا استطعت ،
وانظر إلى الخطر الذى تريد أن تهوى فيه .
لولا إشفاقى عليك لسألتك :
أمن النبيل أن تقول هذا الكلام ؟
أمن النبيل ألا تفكر إلا فى نفسك ،
وكأنك لا تعذب قلوب الأصدقاء ؟

هل يخفى عليك رأى شقيقى فيك ؟
هل تجهل كيف تقدرك شقيقتاى ؟
ألم تحس بهذا التقدير وتأن كد منه ؟
هل يتغير كل شىء فى لحظات قليلة ؟
تاسو ! إن كنت تريد أن تفارقنا
فلا تترك لنا الألم والعذاب .

تاسو : (يشيح بوجهه بعيداً) .

الأميرة : كم يعزى النفس حين يرحل صديق
فى رحلة قصيرة ، أن نقدم له هدية صغيرة
ولتكن معطفاً جديداً أو سلاحاً !
أما أنت فلا يستطيع الإنسان أن يهديك شيئاً
لأنك تطرح عنك كل ما تملكه فى نفور .
إنك تختار عباءة الحجاج وبردتهم السوداء
وعكازهم الطويل ، وتعتمد أن تذهب إلى هناك
فى زى المساكين وتسلب منا
ما لم تكن لنتمتع به إلا معنا .
تاسو : إذن فأنت لا تبدلينى تماماً ؟

يا للكلمة العذبة ، يا للعزاء الغالى الحميل !
دافعى عني ! خذيني فى حماك !
دعيني هنا فى بلرجواردو ، أو انقليني إلى كونساندولى

أو إلى حيث تشائين !
ألا يملك الأمير من القصور الحميلة والبساتين
ما يحتاج إلى العناية طوال العام
ولا تكادون تقيمون فيه يوماً واحداً أو ساعة واحدة ؟
لإختارى أبعداها جميعاً ، ذلك الذى لم تزوريه منذ
سنوات

وقد يكون الآن مهجوراً ، وأرسلنى إلى هناك !
دعنى هناك أهب حياتى كلها لكم !
كم أتمنى أن أتعهد أشجارك !
وأغطى فى الحريف أشجار الليمون بالألواح والقرميد
وألفها بعناية بأعواد القصب !
ستمد الأزهار الحميلة جذورها العريضة فى الأحواض
وسيلدو كل ممشى وكل خلوة فى أبهى زينتته .
واتركى لى كذلك العناية بالقصر !
سأفتح النوافذ فى الوقت المناسب
فلا تفسد الرطوبة اللوحات ،
والحدران المزدانة بمعجون المرمر
سأنظفها بالريش الخفيف
وستلمع الأرضية الخشبية وتتألق
ولا يتزحزح حجر أو طوبة عن مكانهما
ولا ينبت عشب فى أحد الشقوق !

لأَميرة : لست أجد في عقلي رأياً

ولا في قلبي عزاء لك أو لنا .

إن عيني تتلفت حولي ، لعل إلهاً

أن يمد إلينا يد المساعدة ،

أو يدلنا على بلسم أو نبات شاف

يتزل السلام على نفسك ويهديء نفوسنا .

إن أخلص الكلمات التي تخرج من الشفاه

وهي الدواء الساحر لم يعد لها تأثير .

لا بد أن أتركك تسافر ،

ولكن قلبي لا يستطيع أن يهجرك .

تاسو : أيتها الآلهة ! إنها هي

التي تتكلم معك وتعطف على بؤسك !

ومع ذلك أسأت في فهم القلب النبيل ؟

كيف استولى الضعف عليك

وكيف قهرك اليأس وأنت منها قريب . ؟

لا لا ! إنها هي ! وأنت أيضاً قد ولدت من جديد .

تكلمي تكلمي ودعيني أستمع

من بين شفتيك الأمل والعزاء !

لا تحرميني من نصيحتك ! قولي : ماذا أفعل ؟

لكي ينعم شقيقك بالعفو على

ولكى أكون جديراً بعفوك
ولكى يسعدكم من جديد
أن تعدوني واحداً منكم
قولى لى !

الأميرة : إن ما نطلبه منك قليل
ومع ذلك يبدو أكثر من الكثير .
يكفيك أن تترك نفسك لنا ، وتطمئن لمودتنا .
نحن لا نريد منك إلا ما فى طاقتك
إذا استطعت فحسب أن ترضى عن نفسك .
أنت تسعدنا ، حين تكون سعيداً
وتؤلم قلوبنا حين تهرب من السعادة .
وإذا كنت تجعلنا نفقد الصبر أحياناً
فلأننا نتمنى أن نساعدك ، ونرى ، ويا للأسف ،
أن كل مساعدة لا جدوى منها
ما دمت لا تريد أن تمسك بيد الصديق
التي تمتد إليك فى شوق ولا تصل إليك .

تاسو : ما زلت أنت التي رأيتها أول مرة
حين أقبلت على كالملاك الطاهر !
إغفرى للبشر الفاني نظرتهم
التي غشيت لحظات فلم تعرفك

إنها تراك الآن ! وروحي كلها تتفتح
لتعبدك أنت وحدك إلى الأبد ،
والقلب يفيض كله بالحنان
إنها هي . أراها أمامي . يا له من شعور !
أهي الخيرة التي تدفعني إليك ؟
أهو الجنون ؟ أم حس عال
يتنشى بالحقيقة السامية الصافية ؟
نعم ! إنها العاطفة التي تستطيع وحدها
أن تهبني السعادة على هذه الأرض .
وهي وحدها التي قدرت شقائي
حين قاومتها وأردت أن أنفيها من القلب .
هذه العاطفة هي التي حاولت أن أحاربها
وصارعت وصارعت صميم كياني
وهدمت في غضبي الأحق ذاتي
التي عرفت أنك لها وحدها .
الأميرة : تاسو ! إن كنت حريصاً على أن أسمعك
فكفكف هذا اللهب الذي يفرغني .
تاسو : هل تمنع حافة الكأس النبيذ
من أن يطفح ويزيد ويفور ؟
كل كلمة منك تزيد سعادتي
ومع كل كلمة تتألق عيناك .

أحس أننى تغيرت فى أعماقى
وأننى تخلصت من كل همومى وأعبائى
وأصبحت حراً كإله ، وكل هذا بفضلك !
القوة الغامضة التى تتحكم فى حياتى
تدفع من شفيتك . نعم ! أنت تملكين وجودى .
لم يعد لى شىء أملكه من نفسى !
عينى تعيش فى وميض السعادة والنور ،
وجدانى يترنح ويضطرب . ساقى ترتعش .
أنت تشدينى نحوك فلا أملك أن أقاوم
أو أمنع قلبى الذى يندفع إليك .
ملكتنى إلى الأبد بين يديك
فخذى وجودى كله إليك !

(يلقى نفسه بين ذراعيها ويضمها بشدة إلى صدره)

الأميرة : (تدفعه عنها وتبتعد بسرعة) : إبتعد !
ليونورا : (التي ظهرت منذ قليل فى مؤخرة المسرح تسرع
مقبلة) :

ماذا حدث ؟ تاسو ! تاسو !

(تتبع الأميرة)

تاسو : (الذى يريد أن يتبعهما) : آه يا إلهى !

ألفونس : (الذى اقترب منذ قليل مع أنطونيو) :

لقد جن جنونه ! أوقفوه ! (يخرج)

المشهد الخامس

(تاسو — أنطونيو)

أنطونيو : أنت يا من تعتقد دائماً أن الأعداء يحيطون بك

كم يحس العدو بالانتصار لو رآك الآن !

أيها الشقي ! إنني لا أكاد أفيق من ذهولي !

عندما نفاجأ بشيء لم نكن نتوقعه ،

عندما تقع أنظارنا على شيء رهيب

يتوقف العقل لحظة كالمشلول :

ولا نجد وصفاً لهذا الشيء المجهول .

تاسو : (بعد فترة صمت طويلة) :

أتمم مهمتك — إنني أراك الآن على حقيقتك !

نعم ! إنك تستحق ثقة الأمير فيك

أتمم وظيفتك ! استمر في تعذيبى !

انكسرت عصاى فعذبني في بطنى حتى أموت !

إغرز ! إغرز السهم حتى أحس بالكُّلَّاب

يغوص في لحمى ويمزقنى !

أنت أداة طيعة في يد الطاغية ؛

كن السجنان وكن الحلال
فكلاهما يليق بك !
(يدير وجهه ناحية المشهد)
نعم ! إستمروا أيها الطاغية !
لم تستطع أن تلبس القناع للنهاية ، إنتصر !
عرفت كيف تقيد العبد بالأغلال
و كيف تدخره لعذاب أظفع :
إستمروا في عملك ، فإنني أكرهك
وأحس بالبشاعة التي تثيرها في نفسي
القوة المستبدة التي تفتك بالأبرياء
(بعد فترة صمت)
وهكذا أراني في نهاية المطاف
طريداً منفيّاً كأنني شحاذ !
لم يتوجوا رأسي إلا ليزينوا
الضحية التي يقدمونها إلى المذبح^٢.
هكذا جردوني في يومي الأخير
بألفاظهم المعسولة من كثرى الوحيد ،
من قصيدي الذي لن يردوه إليّ !
من ملكي الوحيد الذي كان ممكنا
أن يضمن لي الحفاوة في كل مكان

أزوره ويحميني من الجوع !
الآن أرى لماذا أردتم لي أن أستريح .
لأنها مؤامرة ، وأنت رأس المتآمرين :
لكي تبقى قصيدتي إلى الأبد ناقصة
لتحرموا اسمي من المجد والشهرة
ليجد حسادي ألف عيب يأخذونه علي
ولأسقط أخيراً في هوة النسيان .
ألهذا أردتم لي الراحة والفراغ ؟
ألهذا دعوتهموني لأحفظ نفسي وأدخر قواي ؟
يا للمحبة الصادقة ! يا للعناية الرعوم !
كنت أتخيل بشاعة المؤامرة
التي تحاك لي بلا هوادة في الظلام
وها هو الواقع أبشع من كل خيال !

* * *

وأنت أيتها الساحرة الخئون !
يا من جذبتني برقة السماء
هانذا أراك الآن على حقيقتك !
يا إلهي ! لماذا لم تفتح عيناي قبل الآن !

* * *

بيد أننا نحب أن نخدع أنفسنا بأنفسنا
ونكرم كل نذل دنىء يكرمنا .
إن الناس يجهلون بعضهم البعض ؛
أما عبيد الحرب الذين يجلسون لاهثين مغلولين على
مقعد واحد ،
فأولئك هم الذين يعرفون بعضهم البعض ؛
وحيث لا يطلب أحد من صاحبه شيئاً
ولا يخشى أن يفقد شيئاً ،
وحيث يكشف كل واحد عن خبثه
ولا ينتظر من جاره إلا الحبث
فأولئك يعرف بعضهم البعض .
لكننا لا نجامل غيرنا حين نخدع أنفسنا فيهم
إلا لكي يكون من حقنا أن نطلب منهم نفس المجاملة .

★ ★ ★

صنمك الذى عبدته كل هذا الزمن
كان يحجب عني المرأة اللعوب .
سقط القناع ، وأرى الآن أرميد
عارية من كل سحرها - نعم ! أنت هي !
وكم تغنت قصيدتي بهذه الأحاسيس !

★ ★ ★

والوسيلة الصغيرة الماكرة

كم سقطت الآن من عيني !
ما زلت أسمع حفيف خطواتها الناعمة حولي
وأعرف الآن الهدف من دسها وكيدها .
إنني أعرفكم الآن جميعاً ! ويكفيني هذا !
وإذا سلبنى حظى الشقى من كل شيء
فسأعرف فضله على إذ كشف لي الحقيقة .

أنطونيو : إنني أسمعك يا تاسو في ذهول

بالرغم من علمي أن عقلك المندفع
يتذبذب في سهولة من طرف إلى طرف .
عد إلى نفسك ! تحكم في هذا الغضب !
إنك تجدف من كلمة إلى كلمة
وتأتي ذنباً إن غفرتها لك آلامك
فلن تغفرها لنفسك أبداً .

تاسو : آه لا تخاطبني بكل هذه الرقة ولا تحاول

أن تعيد إلى الهدوء بكلماتك العاقلة !
دعني أتمتع بلذة الجنون الكثيرة
لكي لا أعود إلى عقلي لحظة فأفقده .
أحس في أعماقي أن هيكلي تهشم
ولست أعيش إلا لأجل هذا الإحساس .
اليأس يقبض على بكل قسوته ،

وفي جحيم العذاب الذي يفني
لا يكون التجديف إلا شكوى ضعيفة .
أريد أن أرحل ! فإن كنت صادقاً
فأثبت لي هذا ، ودعني أفر في هذه اللحظة !

أنطونيو : لن أتخلي عنك في هذه الشدة ؛
وإذا كنت قد فقدت التحكم في نفسك
فإني لن أفقد الصبر معك .

تاسو : أعلى إذن أن أستسلم لك ؟
ها أنا قد سلمت ، وتم الأمر :
لن أقاوم ، وها أنا قد استرحيت —
ودعني أكرر الآن في ألم
كم كان جميلاً ما أضعته من يدي .
ها هم قد ابتعدوا — يا إلهي !
إني أرى الغبار الذي يرتفع خلف عرباتهم .
الفرسان في المقدمة . إنهم يسرون
على نفس الطريق الذي جثت منه .
إنهم يرحلون غاضبين على
لو أنني استطعت أن أقبل يده !
لو أنني استطعت أن أودعه
وأقول له للمرة الأخيرة : أعف عني !

وأسمعه يقول : إذهب فقد عفوت عنك !
 لكننى لا أسمعها منه ولن أسمعها أبداً .
 أريد أن أذهب إليه ! دعونى أودعه
 ولا أطلب شيئاً غير هذا الوداع !
 أعطونى ! آه أعطونى هذه اللحظة مرة واحدة !
 فربما شفيت . لا . إننى طريد . إننى منفى .
 أنا الذى نفيت نفسى بنفسى .
 لن أسمع هذا الصوت أبداً .
 لن ألقى هذه النظرة أبداً .
 أنطونيو : حاول أن تنصت إلى صوت رجل
 لا يستطيع أن يسمعك بغير تأثر !
 لست شقياً إلى الحد الذى تظن
 تمالك نفسك ! جرب أن تقاومها !
 تاسو : هل بلغت من البؤس ما يبدو على ؟
 هل بلغت من الضعف ما يظهر لك ؟
 هل ضاع إذن كل شيء ؟
 هل زلزل الألم بنيانى
 وحوّله إلى ركام من الانقراض ؟
 ألم تبقى لدى موهبة تحمىنى وتقدم لى ألف عزاء ؟

هل انطفأت كل القوة التي كانت تجيش في صدري ؟
هل أصبحت عدماً ؟ هل فني وجودي ؟
لا ! إن كل شيء كما هو ، لكنني أصبحت عدماً .
لقد تخلّيت عن نفسي وتخلّيت عني .

أنطونيو : إذا ظننت أنك قد فقدت كل شيء

فقارن نفسك بغيرك ، واعرف من أنت !

تاسو : أجل ! إنك تذكرني بنفسى في اللحظة المناسبة ! —

ألم يبق لي مثل أعلى أستمدّه من التاريخ ؟

ألا يتمثل لي بطل تعذب أكثر مما تعذبت

فأتماسك حين أقارن نفسي به ؟

لا ! لقد ذهب الجميع ! ولم يبق لي سوى شيء

واحد :

الدمعة التي أهدتها لنا الطبيعة ، وصرخة الألم

التي يطلقها الإنسان حين يعجز عن الاحتمال .

وأنا الذي احتفظت بهذه الهدية السامية —

تركت لي في الألم اللحن والخطاب

لأشكو همومي كلها في نشيدي :

وإذا ما أخرس الإنسان عذابه

وهبني الرب أن أعبر عن عذابي

(أنطونيو يتقدم نحوه ويتناول يده) :

تاسو : آه أيها الصديق النبيل ! إنك تقف ثابتاً وهادئاً
بينما أبدو كالموجة التي تتقاذفها العاصفة .
ولكن تريث ولا تغتر بقوتك !
فالطبيعة الجبارة التي بنت هذه الصخرة الراسخة
قد أعطت الموجة القدرة على الحركة .
إنها ترسل عواصفها ، فتفر الموجة
وتتأرجع وتنتفخ وتثور مزبدة .
على هذه الموجة كان ينعكس ضياء الشمس الجميل .
وفوق هذا الصدر الذي تحركه نسمة خفيفة
كانت تستريح النجوم :
الآن اختفى الضياء ، وتبددت الراحة .
لم أعد أعرف نفسي في وسط الأخطار
ولا عدت أشعر بالحجل من هذا الاعتراف .
إنكسر المجداف ، وبدأت السفينة تتحطم من كل
ناحية .
والأرض راحت تنشق تحت قدمي !
ها أنا ذا أمسك يديك ، وأضملك بذراعي
كما يتشبث الملاح في النهاية
بالصخرة التي سيتحطم عليها .

تمت

فهرست

صفحة

| | |
|-----|-----------------------|
| ٧ | لوحة بحياة جوته وعصره |
| ٢١ | مقدمة المترجم |
| ٤٥ | مسرحية تاسو |
| ٤٧ | شخصيات المسرحية |
| ٤٩ | الفصل الأول |
| ٩٣ | الفصل الثانى |
| ١٤٣ | الفصل الثالث |
| ١٧٥ | الفصل الرابع |
| ٢١٥ | الفصل الخامس |

اقرأ في هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

| | | |
|------------|---------------|--------------|
| اسخيلوس | ابسن | دورنمات |
| سوفوكليس | برنارد شو | جان انوى |
| يوربيديس | ت.س. اليوت | آرثر ميلر |
| ارسطوفانيس | تشيكوف | البير كامى |
| شكسبير | لويجى برنيللو | تيسى وليامز |
| مارلو | يوجين ارنيل | جون اسبورن |
| مولير | وايلدر | براندن بيهان |
| راسين | جان بول سارتر | او كيسى |
| شريدان | برخت | جايلز كوبر |

وكثيرين غيرهم

فى العدد القادم المجاني تاليف : دستويفسكى

الثنى ١٥

العدد ٤



دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالمشاهرة

تاسو

في هذا العدد :

توركوانو تاسو (١٥٤٤ - ١٥٩٥) من اكبر الشعراء الايطاليين في اواخر مصر النهضة . عاش حياة بائسة ، وانتهى نهاية حزينة . استضافه الفونس الثاني امير « فرارا » واصبح شاعر البلاط ، وعاش محاطا بالرعاية والتكريم حتى انتابته الشكوك الدينية والنفسية فاصيب بجنون الاضطهاد او بجنون الكآبة ، وامضى بقية حياته شريدا هائما على وجهه . وقد سحرت شخصيته شاعر الالمان الاكبر جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) فاستمد منها موضوع هذه المسرحية ، التي جعلها تدور حول الصراع بين الموهبة والحياة ، والفن والواقع . فالشاعر تاسو يحيا في عالم الشعر الذهبي ، ويعكف على احلامه واوهامه التي تسوقه شيئا فشيئا الى الهاوية ، بعد ان يعجز عن التلاؤم مع واقع الحياة المحيطة به ، وتخيب آماله في حبه لشقيقة الامير . ولا ترجع أهمية المسرحية الى تصوير هذه الحقائق التاريخية والنفسية ، بقدر ما ترجع الى صدقها في التعبير عن الصدام الضروري بين الشعر والواقع ، وعن مأساة الشعراء والفنانين في كل زمان ومكان .

المؤلف : يوهان فولفجانج جوته ، شاعر الالمان الاكبر .

المرجم : د . عبد الغفار مكاوي .

في العدد القادم :

« المجانين »

اجتاحت الاضطرابات روسيا القيصرية ، وخافت زوجة دستوفسكى ان يقبضوا على شقيقها الطالب بالمعاهد العليا فاستلهاه دستوفسكى ليقيم معها في المانيا حتى ينجلي الموقف . ومن هذا الطالب عرف اخبار التمرد الفكرى والسياسى والانحلال الاخلاقى بين الشباب المثقف في روسيا القيصرية . الشباب الذى لا يؤمن بشيء من أى نوع . وكان دستوفسكى يفتى قصة بعنوان « الالحاد » . لكن مشروع القصة تطور في ذهنه العمل الفنى الكبير فى ٦٠٠ صفحة بعنوان « المجانين » . واختار البير كامى هذه القصة بالذات ليكتبها للمسرح . من مجموعة من الشبان فى تنظيم فوضوى يؤمنون بالحرية المطلقة معظمهم ملاحدة . يقوم بعضهم بقتل شاتوف لانسحابه من التنظيم الارستقراطى الوسيم شافروجين الضابط السابق بالجيش يستقصد الفساد والانحلال وينتهى الى الانتحار مثل زميله كيرلوف . كل هذا بالسخرية والنقد اللاذع وعمق التحليل النفسى .

الليف : دستوفسكى

مسرحة : البير كامى

ترجمة وتقديم : اسماعيل الهدوى

